





فلورا

ميراث البحار

جمال شاهين

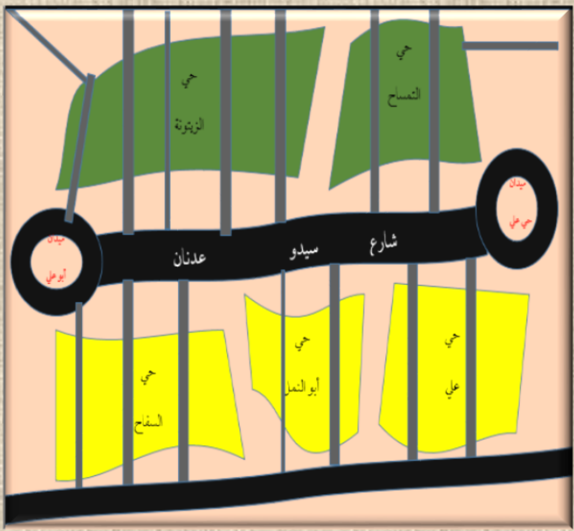
منشورات مكتبتي الخاصة

الروايات الاجتماعية

٢٥

جمال شاهين

٢٠٢٥



فلورا

ميراث البحار

١٠

منشورات مكتبتي الخاصة

١٤٤٧- ٢٠٢٥

ميراث البحار

جمال شاهين

قسم الروايات الاجتماعية ٩



شارع سيدو عدنان

١٠

جاءت موظفة الإدارة المدرسية على صفي المدرسي وهمست في أذن المدرسة بأن المرشدة والمديرة يرغبن باللقاء بي فانقبض صدري لهذه الدعوة المفاجئة فوجدت في الإدارة خالي نيكولاس أندرو شقيق أمي هيلينا فقبلني وقال : الجد يرغب برؤيتك الساعة، فحدقت به وقلت : لماذا ؟! قال : في البيت ستعرفين السبب ، وقادني لسيارته ثم علمت بغرق أسرتي أمي وأبي ثم رحلت لوطن أبي وأنا غارقة في الحزن والبكاء ومن تلك الأيام كرهت الارتباط برجل سواء بعلاقة عابرة أو زواج قانوني، لم احب أن يتألم احد مثلي بسببي أكملت الدراسة في مدارس أجنبية ، ثم درست الطب وتخصصت في طب النساء وأمراض النساء ومضت السنون والشهور ولم أتعلق برجل وارغب بالزواج منه ، ثم ورثت الملايين عن جدي اليوناني البحار وما زلت امرأة عانس وتركت الجاهلية وعدت للتوبة والإسلام حيث أن والدي كان مسلما... فلور افادي



جمال شاهين

ميراث البحار

فلورا

فلورا

قصة فلورا فادي لم تبدأ من شارع سيدو عدنان بدأت من أثينا اليونانية ، بيرايوس مدينة يونانية في منطقة أتيكا الإدارية ، تقع على بعد تسعة كيلومتر جنوبي العاصمة اليونانية أثينا، وهي مركز مقاطعة بيرايوس ، تاريخياً كانت ميناء مدينة أثينا القديمة ، وهي ما زالت تلعب هذا الدور في الوقت الحالي حيث تعد بيرايوس مركز صناعي مهم، ومرفأ للشحن والتفريغ .. بيرايوس تقع ضمن شبه جزيرة تبعد تسعة كيلومترات عن أثينا ، ويبلغ عدد سكانها ١٧٥,٠٠٠ نسمة مع ضواحيها تصبح ثالث أكبر مدينة يونانية بعد أثينا وسالونيك.



تشكل شبه الجزيرة الصخرية التي تقع عليها المدينة ثلاثة مرافئ طبيعية عميقة يعد بيرايوس أكبرها والذي يقع في شمال غرب المدينة من أهم المرافئ التجارية في شرق المتوسط ، أما الاثنان الآخران فيخدمان كمرافئ للسفن السياحية التي تربط المدينة بباقي الجزر اليونانية في بحر إيجة.

يقع الميناء على الخليج الساروني في بحر إيجة ، مما يمنحه موقعاً جغرافياً مهماً للغاية ويربطه بأوروبا وآسيا وأفريقيا ، هو يعتبر كما قلنا أكبر ميناء بحري في اليونان وأحد أكبر الموانئ في أوروبا ، يعتبر مركزاً لوجستياً مهماً في منطقة البحر الأبيض المتوسط ، وهو أكبر ميناء للركاب في اليونان ، ويخدم حركة كبيرة من المسافرين والبضائع وهو أهم ميناء يوناني ، وهو الميناء الرئيسي لمدينة أثينا وأكبر ميناء في اليونان وواحد من أكبر الموانئ في أوروبا، ويعمل كنقطة اتصال رئيسية لأثينا ويربط الجزر اليونانية بالبر الرئيسي والعالم إنه مركز بحري وتجاري هام، ويشمل محطات متخصصة للشحن والركاب والسفن السياحية ، بالإضافة إلى تسهيلات حديثة مثل الصراف الآلي والمطاعم ووكالات السفر .

في هذه المدينة ولدت فلورا لأب عربي وأم يونانية هيلين اندرو ، والسبب أن فاديا كان يعمل

مهندسا ميكانيكا على سفينة يونانية كبيرة تعمل في الميناء المذكور ، وكانت هيلين أو هيلينا ابنة البحار اندرو رئيس شركة شحن بحري كبيرة ، فزوجه بعد حين من ابنته هيلين ، وولدت له فلورا وأثناء رحلة بحرية ؛ حيث كانت ترافقه زوجته في بعض الرحلات البعيدة عن اليونان غرقت السفينة في المحيط الأطلسي ، وغرق قارب النجاة به وبزوجته ومن معهم من العمال ، وكانت فلورا في مدرسة داخلية في مدينة بيرايوس أو بيريه كما ينطقها بعضهم ، وكان عمرها عشر سنوات وقت الحادث الرهيب ، فنقلت لحضانة جدها رومي في شارع سيدو عدنان ، فهو من سكان حي الزيتونة شارع أبو بصير في وسط الحي ، فكان الجد وشقيقه راضي يسكنان في بناية مكونة من طابقين الأرضي لراضي والأعلى لرومي ، ولما نقلت اليه كان وحيدا ؛ ليس له إلا فادي الغريق ، ولم يتزوج رومي بعد ترمله ، وظل ارملا حتى هلك كما قيل ، وورثت الفتاة تعويضا ماليا عن غرق أبيها وأمها بعد موتهم غرقا من شركة التأمين ، وسجلت الأموال باسمها وسوف يسمح لها بتملكها بعد بلوغ الواحد والعشرين أو الزواج قبل ذلك .



تابعت فلورا المدرسة في مدرسة أهلية أجنبية في البلاد حيث تنتشر فيها مدارس للجاليات الأجنبية فكانت اكثر الجاليات تنشئ مدرسة خاصة بجاليتها لدارسة منهاج بلادهم حتى اذا عاد للوطن لا يبدو غريبا عن بلده ووطنه ، والقانون المحلي لا يمنع من ذلك ، وذلك تخفيف لهم من نقل أطفالهم للدراسة بعيدين عن أهليهم العاملين في البلاد دبلوماسيون وغير دبلوماسيين .

فكانت تدرس في مدرسة أهلية تابعة للإنجليز ، مضت سنوات الدراسة بدون مشاكل تذكر في حياتها ، ولحقت بكلية طب في العاصمة ، وكانت حياتها الاجتماعية ساذجة لم تهتم بتكوين صداقات ممتدة أيام المدرسة لا مع الإناث ولا مع الذكور ، كان يرتسم على وجهها الحزن الدائم مما يدفع الزملاء الفضوليون عن السؤال عن سبب ذلك الاسى والحزن ، وكان الجد يأخذها

كل سنة لما كبرت لزيارة قبر والديها في أثينا ؛ حيث دفنا هناك بمقبرة مختلطة ، وتمكث ثلاثة أيام إلى أسبوع قبل العودة حتى أنها لم تنسجم مع أبناء وأحفاد شقيق جدها رومي الجد راضي كانت تهتم بالجلوس بمكتبة المدرسة الإنجليزية ، فهي تعلمت تلك اللغة مثل طلاب المدرسة ولما انتقلت للجامعة كانت المكتبة الطبية من افضل مواقع مكوثها في ساعات الفراغ ، وكل من تقرب منها تراه بعد حين ينسحب من التسلية أو إدامة المكث بجوارها ، ولم يجرؤ أي شاب بتكوين صداقة عاطفية معها ؛ فكانت تحرجه وقد تطرده علنا ، فسماها بعضهم اليونانية المعقدة أو شيطانة أثينا ، وغير ذلك من الأوصاف القبيحة والمنفرة ، ومن كان يعرف مأساتها يعذر حزنها وانكماشها ، أنهت كلية الطب حسب قانون كلية الطب المحلي ، وقررت البقاء في المستشفى الجامعي للحصول على تخصص النسائية والتوليد وأمراض النساء لتصبح أخصائية نسائية ، وهذا التخصص قد يستغرق مزيدا من السنوات التدريبة والدراسة

***

اختصاص النسائية والتوليد (طب النساء والتوليد) هو تخصص طبي يهتم بصحة المرأة في جميع مراحل حياتها، بما في ذلك صحة الجهاز التناسلي الأنثوي (الرحم، المبايض، المهبل) والحمل والولادة وفترة ما بعد الولادة ، بالإضافة إلى رعاية الأطفال حديثي الولادة.. يغطي هذا التخصص نطاقًا واسعًا من الحالات ، من الرعاية الوقائية والفحوصات الروتينية إلى علاج أمراض مثل العقم، الأورام ، اضطرابات الدورة الشهرية، وسلس البول .

يركز على صحة الجهاز التناسلي الأنثوي خارج فترة الحمل ..يركز على رعاية النساء الحوامل والأجنة أثناء الحمل والولادة وفترة ما بعد الولادة .

إجراء فحوصات سنوية ، متابعة الصحة الإنجابية ، وتقديم المشورة حول تنظيم الأسرة ..التعامل مع مشاكل مثل النزيف غير الطبيعي ، الأورام الليفية الرحمية ، بطانة الرحم المهاجرة ، تكيّسات المبايض، وأمراض الحوض ..رعاية النساء الحوامل، متابعة نمو الجنين باستخدام الموجات فوق الصوتية، والتعامل مع الولادات الطبيعية والقيصرية ..متابعة صحة

الأم والطفل حديث الولادة بعد انتهاء الحمل والولادة .. يشمل ذلك الجراحة بالمنظار وتنظير الرحم لعلاج أمراض الجهاز التناسلي .

وهناك تخصصات فرعية في طب النساء والتوليد منها طب الأم والجنين ، تشخيص وعلاج سرطانات الجهاز التناسلي الأنثوي ..أمراض الغدد الصماء التناسلية والعقم .. علاج مشاكل الهرمونات والعقم باستخدام تقنيات مثل أطفال الأنابيب.. أمراض النساء عند الأطفال والمراهقات.. معالجة المشكلات الصحية التي تصيب الإناث في هذه الفئات العمرية.. ويستغرق المتخصص خمس سنوات تدريبية في مستشفى مسموح التدريب فيه .

***

لم تخلُ حياتها من مشاكل من زملاء المستشفى من أطباء عاملين أو طلاب تخصص مثلها محاولين تكوين صداقات طويلة معها ؛ ولكنها لم تنجح حتى أن جدها كلما فتح معها الحديث عن الزواج تطلب منه أن لا يحدثها بهذا الموضوع ، ولا ترغب بزواج أو أطفال فيلزم الصمت لحين

فذات ليلة قال لها : حفيد أخي راضي يرغب بالزواج منك

قالت وهي تحدق به : قلت لك يا جدي ؛ لست بحاجة لزوج ولا أطفال

ـ كل الناس ستموت يا فلورا ..وليس أول ناس يموت أبواك بغرق .. فجدتك زوجتي ماتت قبل موت أبيك

ـ لا أريد أن يحزن ويشقى بسببي احد

ـ وهل الحياة تتوقف علينا ؟ .. فلورا الحياة افضل من العيش على مأساة .. هل لو لم يركب والداك السفينة لا يموتون؟ .. الناس تولد كل يوم وتموت كل يوم .. كل من يولد سيموت صغر أم كبر كما تركك والدك للحياة فاتركي للحياة ذرية

ـ الحياة لا تتوقف على ذريتي ؛ لكن بغضت لي الحياة الزوجية والأولاد

ـ كثير من الناس يتزوجون ولا ينجبون .. أنا سأموت ولكني سأموت حزينا عليك بدون زوج وبدون أطفال

ـ لا تحزن عليّ سأعمل على مساعدة الحوامل على احسن ولادة واهتم بصحتهن وبصحة مواليدهن

ـ هذا هو العجيب يا حبيبي ! لا يعجبك حفيد راضي

ـ أنا لا اعرفهم جيدا ليعجبوني أو لا يعجبوني .. احب الانفراد والعزلة .. مضت سنوات المدرسة والجامعة دون أي صديق أو صديقة أأسف على فراقه

ـ سأعتذر لشقيقي ..

ـ لا احب الزواج يا جدي والولادة

***

كانت حياة فلورا على جدها شاقة ، وكان يقول لشقيقه بعد أن بين له أنها ترفض الزواج ولا تفكر فيه ، فقال راضي : أول مرة في حياتي اسمع أن امرأة لا ترغب بالزواج والارتباط برجل كنت أظن ذلك التأخير والرفض بسبب دراسة الطب .. لهذه الدرجة تأثرت حياتها بموت والديها .. وهل احد يتخلد ؟ لم تكن صغيرة عند فقدهما .. فها هي الزلازل والحروب تفتك بعائلات كاملة ولا يبقى منها إلا واحد أو اثنان

فلسف رومي شأنها فقال : اعتقد سبب هذه العقدة أنها وحيدة لأبويها .. نساؤهم لا يرغبن إلا بواحد أو اثنين ؛ فكان على ابني فادي أن ينجب لها أخا أو أختا

ـ الناس لما تسافر لتلك البلاد للعمل فيها أو حتى الدراسة ينسون عادات بلادهم الأولى ويحاكونهم في الأكل والشرب والفساد

ـ حدثتها عن موتي فلم تهتم ببقائها وحدها

ـ لا تقلق .. ستبقى في رعاية الأبناء والأحفاد ، لا تقلق من هذا الجانب فهي ابنة عمهم حتى أنت حياتك غريبة لم تنجب إلا فاديا

ـ أنا يا راضي كنت مريضا بصعوبة ولدت وحيدي .. حتى أنت لم تنجب إلا اثنين

ـ مات لي اثنان آخران لا تنسى يا رومي .. كان عليك أن تتزوج بعد موت أم فادي

ـ لم احب أن اعذب امرأة معي يا أبا سامر

ـ أنت على كل حال معذور .. البنت كبرت يا رومي !

ـ هي حرة.. المهم فليتزوج حفيدك ولينسى الدكتورة أنا رغبت أن تتزوجه لتبقى قريبة من العائلة بعد وفاتي

ـ هو كان يتوقع ذلك .. وأقول بصراحة أولادي وأولادهم لا يحبونها فهي متعجرفة ومكشرة دائما في وجوههم .

ـ هذه طبيعتها منذ أحضرتها للعيش معي .. عندها الأشخاص الذين في الكتب افضل من الأحياء تقول : حتى لو سيمثلون أدوار الشر خلال القصص والروايات فشرهم محشور في الكتاب لا اثر لهم على حياتنا فلا احد يخاف منهم ، ولو بلغ شرهم الأرض كلها

ـ هذه حفيدتك فيلسوفة فعلا يا رومي شر القصة ليس كشر الحياة

ـ وتقول إنها تجالس الأخيار والأشرار والشعراء والأدباء والحكماء والنصابين والمحتالين فكأنهم أحياء تعيش بينهم

فقال راضي : فعلا لما أقرأ معلقة أمرؤ القيس ونسائه فكأنني أعيش في عصر الجاهلية الأولى

ـ هكذا هي مع هذه المصنفات حتى تراها تشتري الكتب بلغتها الإنجليزية

ـ ما هي تعلمت في مدرسة الجالية الإنجليزية وهؤلاء يعلمونهم بلغة بلادهم.. هل سيدرسونهم بلغة العرب .. والفرنسيون يدرسون بالفرنسية حتى الجامعات اغلبها تدرس الطب بالإنجليزية والأمريكية .. يا أخي نحن اليوم أمة ضعيفة مهزومة .. لولا القرآن لاندثرت لغة الضاد .. ربما اكثر لغة تعرضت للإفناء والدمار

ـ نحن للأسف نعيش على الأمجاد التي صنعها غيرنا .. وهذا لا يهم أحد من دول الاستكبار لنظل عائشين على التاريخ والذكريات

ـ هذا ما يؤلم ويحزن .. لا احد يهتم بقول رئيس من رؤسائنا ولا بتصريح له

ـ ومن يهن الله فما له من مكرم ..لا تختلف بلادنا وديارنا عن ديار الأجانب وحياتهم

كانت تعمل فلورا بالمستشفى للحصول على تخصص النساء والولادة رغم أنها تبغض الزواج والولادة ، كان معها غيرها طبيبات وأطباء يسعون لذلك ؛ فكان الطبيب المقيم عائذ يسعى لقصة حب معها ويحاول التقرب إليها كثيرا ، ولم يتأثر بصدها ويعتبرها أنثى كغيرها من النساء وتحب الرومانسية والكلام الغزلي ومرافقة الشباب ، ولا يصدق أنها لم تعمل صداقة مع احد خلال دراستها البكالوريوس؛ كما يخبر من تعلموا معها ؛ فكان يلاحقها بعينيه باستمرار ويحاول جاهدا أن يكون برفقتها أثناء تفقد قسم الولادة وغيره ، وكانت تدرك حماقته فقالت له مرة بسخط : لست بنت شارع يا دكتور عائذ .. نحن في عمل وليس في مسرح أو حديقة

ـ وهل قلت عنك بنت شارع .. أنت زميلة عمل ومهنة .. وهل من العيب أن نقف معا ونشرب الشاي معا أو حتى نسهر معا فنحن زملاء مهنة ؟

ـ أنا لا احب ذلك .. احب أن أعيش وحدي ؛ كما مرت السنوات الطبية كلها .. فقصص الحب وتفضلي هذه السيجارة أو حبة الشكولاتة كله غير مقبول في قاموسي .. عليك أن تحترم نفسك عيناك وكلامك وغمزك وتلقيح البسمات والنكات لتكن بعيدة عني .. قل عني أمام رفاقك معقدة مريضة .. لا يهمني ما تقوله بعيدا عن مسمعي

ضحك قليلا وقال : هذه أنت محموقة عليّ يا بنت الناس .. هو الواحد لو تبسم في وجه زميلة العمل اصبح هناك قصة حب وقصة زواج .. التقيت خلال سنوات الكلية مئات الفتيات

ـ أنا لست مثلهن

ـ لماذا أنت لست مثلهن ؟ أنت من كوكب آخر

ـ لا احب التسلية بالمشاعر والعواطف أرجوك كن مؤدبا في حضرتي

وابتعدت عنه فاقتربت زميلة منه مبتسمة : تبهدلت منها اعرف .. لا تفلسف الأمر فتقول إنها اعجب فتاة مرت عليّ

اشعل سيجارة : من أين أتت هذه الأنثى المرعبة ؟

ـ قيل من اليونان .. أمها يونانية من أثينا .. لا تعرف الحب ولا تعرف الغزل .. ولا تصاحب

أحدا ذكرا أو أنثى

قال متحديا : لن يهدأ لي بال حتى ادعها تقبل حذائي . ونظر اليه

ضحكت الزميلة قائلة : هل جننت لتعمل عنترا أمامي ؟ أنا درست معها السنوات الأولى من الكلية .. هكذا خلقت تنفر من الذكور والإناث

ـ لم اعجز عن معاكسة فتاة من أيام الثانوية

ـ يا يا لك من شيطان ! سنعيش معركة بجهلك فلورا

***

زادت مطاردة عائذ لفلورا في قاعات وأروقة المستشفى ، حتى اشتهر ذلك بين الطلبة والأطباء المتدربين فقال أخصائي لعائذ : أنت تسيء لنفسك يا دكتور عائذ ؟

ـ وهل اذا تعلق قلب الفتى بزميلة يسئ لنفسه يا دكتور ؟

ـ اذا كانت تصده فهل يظل معلقا قلبه بالهواء والأوهام؟.. البنت لا تهتم بأي صداقة معك أو مع غيرك .. وقيل لي هذا طبع فيها من قبل الكلية .. فالأفضل أن تحترم مشاعرها وتكف عن مطاردتها ومعاكستها فأمركم وصل رئيس المستشفى

قال متحديا : لن تهزمني حمقاء !

ـ ما دامت حمقاء لن تهزمك ! اخشى أن أقول أنت الأحمق باللف والدوران هنا وهناك

ـ هل تصدق يا دكتور أن امرأة لا تحب الرجال ؟

ـ طبعا اصدق ؛ ليست فريدة في الكون فأمثالها كثر ، ولكل حالة أسبابها ؛ كما أن هناك رجالا لا يعشقون النساء ولا يتزوجون ويموتون دون نساء ودون أطفال .. والتاريخ فيه أمثلة كثيرة .. المهم في النهاية احترم نفسك ، فأنت طبيب وستكون أخصائيا بعد سنين وسمعتك مهمة لوظيفتك في هذه الحياة

تنهد عائذ : معك حق ! ذلتني هذه الحمقاء وانا لا يمكن أن اصدق أنها تكره الزواج والجنس

***

لم يتوقف عائذ عن المطاردة ؛ بل صار يطلق الإشاعات عليها والإشارات الغامضة ، فذات نهار رآها في قاعة الطعام الخاصة بالأطباء تجلس مع فتاة طبيبة على مائدة واحدة ، فاقترب من المائدة والقى علبة الدخان على المائدة : اسمحوا لي بالجلوس على مائدكم

قالت الزميلة : تفضل دكتور عائذ

فصاحت فلورا : لا تتفضل على مائدة اجلس عليها وخذ دخانك

قال متحديا : الطاولة للمستشفى يا آنسة

قالت : لما اجلس عليها صارت لي .. لو سمحت خذ دخانك وانظر طاولة غيرها

بالطبع كانت أنظار الزملاء نحوهم يترقبون حدثا مزعجا ، فقال احدهم : اختصر الشر يا عائذ عيب التطفل

فقال للمتحدث : هي تختصر الشر.. الطاولة للمستشفى وليست لها ولا لي

وقبل أن يتابع تهكمه وتحديه تلقى صفعة على وجهه سمع صوتها كل من في القاعة فقبض على يدها الضاربة ففزع القريبون وقال احدهم : هذا عيب يا فلورا

قالت بصراخ وغضب : العيب أن يتحرش بي بكل وقاحة منذ شهور .. بدأت معه بالحسنى والأدب أن يبتعد عني ولا يطاردني مثل كلب وقح .. وكذا دكتور تحدث معه في هذا الشأن ولا يهتم وضاقت به الموائد إلا مائدة اجلس عليها .. ماذا تسمون ذلك حضرة الأطباء ؟!

ابعد بعضهم عائذا عن مائدة فلورا فادي ، وخرج وهو يتوعد ويهدد بتدمير حياتها ، ولن ينسى الصفعة والإهانة التي لحقت به وبكرامته

وبعد هذه الصفعة قررت كلية الطب بنقل الطالب للاختصاص إلى مستشفى آخر ، وبذلك انتهت مطاردة عائذ لفلورا في مستشفى الطب التعليمي كلية الطب

***

اعتداء

ارتاحت فلورا من مطاردة الكوادر لفترة ، وكما نعلم المستشفيات التعيينات فيها مستمرة فوج ينتقل وانهى دراسته وإقامته التدريبية ويأتي آخرون من بيئات مختلفة أو كليات طب من جامعات أخرى داخلية أو خارجية لنيل التخصص في نفس تخصص فلورا أو غيره ، ويحصل تعارف بين القديم والجديد ، وكان الجدد يكتشفون جمود فلورا وبعدها عن العبث والغمز واللمز ، وتهتم بالموضوعات الجادة وبعدها عن إقامة علاقات شخصية ممتدة ، فجلست يوما معها طالبة مستجدة جاءت للاختصاص بالنسائية مثلها ، وكانت هذه الطبيبة كثيرة التزين والمكياج مم يلفت أنظار الموظف أو الطالب الذكر والأنثى فقالت الدكتورة سميرة لفلورا : أنت عربية فاسمك اجنبي صريح !

ـ ولدت في اليونان ثم جئت لهنا .. فأبي ابن هذه البلدة يا دكتورة سميرة ؛ درست الطب العام في هذه الكلية

ـ أنا درست في مصر طب القاهرة ، وانتقلت للعمل هنا من اجل الاختصاص

ـ موفقة إن شاء الله

ـ قيل لي عنك كلاما لم يعجبني

ضحكت فلورا وقالت : هذه طبيعة الناس من لم تستسلم لأرائه ومنطقه لا تعجبيه

ـ يقولون انك تكرهين الشباب

ازداد ضحكها وقالت : ولماذا احبهم ؟ فانا لا اكرههم ولا احبهم .. أعيش بينهم كزميلة مؤقتة ما هي إلا سنوات ويصبحون ذكريات يا دكتورة ؛ ربما اذا التقيت بي مستقبلا تسلمين عليّ بالقبل أو بالإشارة ؛ ربما ندعوا بعضنا لفنجان قهوة وانتهى اللقاء .. سواء معك أم مع غيرك كم التقينا بزميلات وزملاء خلال السنوات السبع التعليمية الأولى؟ .. هكذا الحياة وحتى يا دكتورة لو قامت علاقة شخصية طويلة مع إحداهن مصيرها الفراق وما هي إلا ذكريات

ـ أفكارك عجيبة ! هو صحيح لا صحبة وزمالة دائمة ؛ ولكن بعض الصداقات قد تمتد طول

العمر ولسنوات طويلة

ـ وهل صداقات الجامعة منها ؟ كم من الطلاب عرفت أثناء الثانوية ؟ قليل من يراسل حتى في المناسبات .. الحياة العملية كم من مكان يتنقل الطبيب بينها

ـ فمن اجل تلك الفلسفات تختصرين العلاقات

ـ نعم ، هكذا عودت نفسي ألا أقيم علاقة عميقة مع احد .. واكثر الشبان يصحبوننا للحب والغزل والكلام الإباحي.. وأنا لا افكر بالزواج والولادة في يوم من الأيام

ـ كان مكانك الدير ؟

ـ الإسلام لا رهبنة فيه كما نعلم

ـ أنت مسلمة إذن

ـ وهل قيل عني غير ذلك ، ولا اعتبر مسلمة إلا اذا لبست ثوبا طويلا وغطيت رأسي .. ليتني استطيع ذلك

ـ ليتك تستطيعين ذلك .. وما الذي يمنعك ؟

ـ لا اعرف شيئا عن الإسلام .. تعلمت في مدارس أجنبية وشببت على التبرج والسفور مثلكن

قالت سميرة مقرة : نحن أبناء البيئة البعيدة عن الدين والالتزام كما يقال عنا

ـ نعم ، المجتمع والبيئة تؤثر فينا

ـ تزوجي شيخا تصرين شيخة

ـ قلت لك لا أريد الزواج

ـ هناك دكتور همس في أذني عنك .. له رغبة بتعميق العلاقة معك وهو خائف أن تصديه

ـ أنت واسطة له ألا ترين أن هذا سخف يا دكتورة ؟!

ـ اعرف انه سخف ؛ ولكني أحببت توصيل الرسالة ليس إلا .. حتى اعذر نفسي أمامه ألا ترغبين بمعرفة اسمه ؟

ـ لا تقلقي سيعرف عن نفسه بعد حين .. والأفضل ألا يعرف بنفسه .. ففكرة التسلية والحب

أفكار مرفوضة ولا يقبلها مزاجي بعد مضي كل سنوات هذا العمر
ـ أنا آسف يا صديقتي أحببت الجلوس معك لأعرفك اكثر .. فهم يهمسون عنك بالكثير
ـ اعرف وكله كلام فارغ

***

كثير من الأشخاص لا يتقبلون رغبات الآخرين بسهولة ويعتبرونهم شاذين في أفكارهم ومعتقداتهم وأن من واجبهم الأخلاقي علاجهم النفسي وإعادتهم لعادة الجمع ، وهذا ما كان يراه ويظنه الطبيب ماهر بفلورا أنها طبيبة معقدة نفسيا وتحتاج لعلاج طبي نفسي ؛ لتصبح مرحة وبعيدة عن الحزن والتوهمات العجيبة عن الزمالة والمرافقة ، فكلما تجلس في مطعم الأطباء يجلس قريبا منها ومحدقا فيها ساعيا للفت نظرها اليه ، كلما تدخن سيجارة يفعل مثلها ، اذا طلبت من الخادم قهوة يطلب قهوة ، تطلب شايا يطلب شايا ، كانت فلورا تلاحظ كل هذا الهبل وكل هذه المضايقات اللاشعورية حتى شاعت أفعاله الصبيانية بين الزميلات والزملاء ، وذكروه بقبح ما يفعل ، وليبحث عن جو آخر ما دام يبحث عن طبيبة ليقترن بها كما يقول ، ورووا له قصة زميل سابق لهم اسمه عائذ وما حدث له من صفعة وإهانة أمام طلبة الكلية ، وطلبة الاختصاص .. لم يستوعب العظة والقصة .. ذات ليلة كان معها في مناوبة ليلية ، وعادة يجلسان في غرفة لأي طارئ في قسم الولادة والمواليد .. ولم يكن في الغرفة تلك اللحظة سواهما فقال لها : ارغب بالزواج منك يا دكتورة !

نظرت اليه وقالت : ألم تقل لك واسطتك بأن الزواج ليس من أهدافي؟ منك أو من غيرك
ـ هل يصدق احد عاقل ذلك ؟ هل هناك بنت أو رجل لا يحلم بأن يكون رب أسرة؟
ـ أنا ، ولو كنت ارغب لتزوجت ابن عمي فقد رغبوني فيه كثيرا
ـ قد لم يكن كفأ لك
ـ هل الكفء أنت لأنك طبيب ؟ فهو مهندس مثل أبي ـ رحمه الله ـ اسمع يا دكتور ماهر فلنبق زملاء عمل فقط اكثر من ذلك غير مقبول

نهض عن كرسيه واقترب منها وقال همسا : لم ترتاح نفسي لامرأة في هذه الحياة إلا أنت

قامت مثله وقالت بتوتر وضيق : عيب هذا الكلام .. النساء يملأن المستشفى ، والكثير يرحبن بك كزوج

تمادى وقبض على عنقها محاولا تقبيلها فصرخت ودفعته بقوه عنها ؛ فكاد يقع على الأرض فدخل احدهم فقالت بغضب : يتحرش بي المجرم

فسحبه الزميل وقال : ما لك يا دكتور ؟ هل فقدت عقلك ؟هو الحب بالعافية ..

قال صارخا : أنت يا زكي لا دخل لك بي ولا تسمعني مواعظك

حضر رئيس القسم وقال : ما الذي جرى يا دكتور ماهر ؟ تعتدي على الدكتورة هل جننت .. الشرطة في الطريق ؟

فعلا حرس الكلية والمستشفى قدموا وساقوا الدكتور ماهرا إلى الأسفل حيث مكتبهم وكان هو مثل الثور الهائج يصرخ ويحتج على الإمساك به ، وكان رئيس القسم يهون الأمر على فلورا ويعتذر لها عن سفاهة زميلها ، ويطلب منها في النهاية ألا تشكو عليه حتى لا يفصل من الاختصاص ، فقبلت فلورا وساطة رئيس قسم الولادة الدكتور الكبير سعيد ، ولم تتقدم باي شكوى عليه ، ولم يتدخل البوليس برفضها تقديم الشكوى والاتهام ، والزملاء يتعجبون من



حماقة ماهر ، وكيف تراوده نفسه لتقبيل دكتورة بدون رغبة منها أو رضا ؟ وبعد أيام قليلة من هذه الحادثة وجد الدكتور ماهر مقتولا في احدى غرف المرضى الفارغة ، والذي اكتشف الجثة عاملة تنظيف فترة الصباح.. وتدخلت الشرطة الجنائية في الحادث للاشتباه بجريمة فتل مما أثار ضجة في المستشفى والصحافة ، والحيرة خيمت على المستشفى هل هي جريمة اغتيال أم انتحار ؟ فقد بين التشريح أن في بدنه سما طبيا هل احدهم سممه أم هو انتحر ؟ كردة فعل على آذاه لفلورا والفضيحة التي أصابته من ذلك ، هزت الجريمة الغامضة أركان الجامعة كلها ، وعلمت الشرطة الجنائية بمشاجرة ماهر قبل أيام من مقتله مع

فلورا ، فتحدث معها المحققون ، واعتبروها مشتبه به وتتبعوا حركاتها تلك الليلة السوداء على كلية الطب ، وكان التحقيق يريد معرفة كيفية وصول السم لبدن الطبيب وكيف حصل عليه إن كان انتحارا ؟ .. فاعتقلت الطبيبة فلورا على ذمة التحقيق ، وعين لها الجد والأقارب محاميا وأخرجت بعد ليلة واحدة لدى قسم الشرطة ، حتى الناس والصحف سخرت من الشرطة باعتقالهم لضحية ، وبعد أيام اعتقلت الشرطة لطبيبة من قسم الجراحة العامة بأنها هي التي قتلت الرجل ؛ لأنه اغتصبها ذات ليلة ، عندما كان يسهر في القسم مع زميل له ، وكانت مع زميلها عندما ذهبت لمتابعة حالة مريضة بطلب من مناوبات القسم فزعم لصاحبه انه سيرافقها لمساعدتها ، فلما قدموا للمريضة المساعدة الطبيبة دعاها لفنجان قهوة في نفس القسم وللدردشة لقتل وقت المناوبة ، ولما تناول القهوة من آلة بيع القهوة الآلية وضع فيها مخدر من الحبوب ، ولما استيقظت اكتشفت الطبيبة ما حل بها من اغتصاب على سرير فارغ من أسرة المرضى ، فأخذت تتربص للانتقام فاختلست مخدرا وسما من صيدلية المستشفى ، وبعد سماعها بمشكلته مع طالبة الاختصاص في قسم النسائية رتبت للقاء ومعاودة قضاء ليلة حمراء كأنها معجبة به ، فأخذها لتلك الغرفة الفارغة من المرضى ، فقدمت له كوبا من القهوة المخدرة ، ورقد وغزته إبرة السم ، وعادت متسللة لقسمها كما فعلت للقدوم اليه بحجة ذهابها لقضاء الحاجة ولشراء بعض المطعومات من دكان المستسقى ، هذه باختصار قصة الجريمة ، ولم تتعرض الطبيبة المغتصبة لعقاب شديد ؛لأنه ثبت أنها تعرضت للاغتصاب تلك الليلة ولم تستطع إخبار الشرطة والإدارة .

***

أنهت فلورا الاختصاص وأصبحت أخصائية نساء وتوليد ، ولم تتعاقد مع المستشفى الجامعي بل رحلت لمركز طبي متخصص في أمراض النساء والحمل والولادة ، وفيه قسم صغير للولادات الضرورية ؛ فكان هذا المكان مركز عملها بعد حمل شهادة الاختصاص الطبي بعمر ثلاثين سنة ، وكان الجد رومي قد كرر عليها أسطوانة ابن الحلال ، وكان منهم ابن لصاحب

البقالة التي قرب البيت ، وتعرف صاحبها وبعض أبنائه مساعديه في العمل فقالت مستفهمة : يشتغل في الدكان

قال : لا ، ضرار مهندس في مصنع ، عرض عليّ أبوه العرض

ـ وهو لليوم لم يتزوج

ـ تزوج وترك الخطيبة ولا اعرف لماذا ؟ والرجل لم يتكلم معي اقصد حضرة المهندس قال البقال ابني الكبير يبحث عن عروس فقد ترك غدير بنت أبي جابر فقلت له بنت ابني رفضت الزواج من ابن ابن أخي راضي فقال مستغربا ولماذا لا تريد الزواج ؟! فقلت لا ادري ! لماذا لا تتزوجين ككل النساء؟ فانت اليوم بلغت الثلاثين

فضحكت وقالت : يا جدي وهل الرجل ضروري للمرأة؟

ـ طبعا ضروري

ـ لماذا أنت لم تتزوج بعد موت جدتي ؟

ـ أنا مريض جنسيا هكذا قال الأطباء لا اصلح للزواج

ـ ألم يجدوا لك علاجا ؟

ـ لا ، طبيعتي ميتة .. ولما ماتت السيدة جدتك لم يعد بفكري الزواج وفضح نفسي للقريب والبعيد .. أنا جربت أنت لم تجربي

قالت : كرهت ذلك لما مات والديّ.. قلت لماذا نتزوج ونسبب الألم لغيرنا ؟ ألم تسمع الشاعر العربي الأعمى يقول:

هذا جناه أبي علي   وما جنيت على أحد

ضحك الجد عاليا وقال : هذا شاعر فاقد الأهلية

قالت : بل شاعر فيلسوف يقول عنه الأدباء والشعراء

قال باسما : لو كان أبوه يعلم بعقوقه لما انجبه .. هذا الأمر يا بنيتي بيد الله.. وأنت أكيد مرت عليك حالات عقم وعواقر يرغبن بنص ولد .. في أمريكا يتعالجن للولادة وهم لا يحبون كثرة

الإنجاب يربون البسس والكلاب .. مسخرة الحياة بدون زوج

قالت : كل شعب له عاداته وتقاليده يا جدي متى نسافر ؟

ـ السنة اعتذر عن السفر .. فانت الآن افهم مني وخلصت دراسة فزوي القبور وحدك.. كنت احلم أن تتزوجي ليرافقك الزوج السعيد

ـ ما الأمر ؟ أول مرة تريد التخلف ؟ لا تقول الزوج السعيد

ـ الصحيح انني على وشك الموت

ـ الموت ! هل جد جديد على مرضك ؟

ـ يقولون انتشر السرطان ولا فائدة من جرعات الكيماوي

ـ امر مؤسف ! سلامتك يا جدي

ـ من اجل ذلك تمنيت أن أراك سعيدة ببيتك ستضطرين لخادمة طول اليوم والليلة

ـ لابد من ذلك

ـ أنا وصيت جدك راضي وأولاده على خدمتك ومساعدتك حتى يهديك الله لزوج صالح

ـ ليس لي إلا أنت يا جدي ..أهل أمي تخلوا عني صغيرة .. فلم اهتم بهم ..ولن اهتم سأعيش برعاية الله .. اطمئن عليّ ؛ لعلي أغير رايي في يوم من الأيام واجد رجلا عقيما

ـ وما الفائدة منه يا فلورا ؟

ـ زوج كأي زوج

***

كان الدكتور الجراح في المركز الطبي طبيبا مختصا بجراحة العمليات القيصرية للحوامل وأمراض النساء الأخرى التي تحتاج لجراحة كان مهتما بفلورا منذ التحقت بالمركز مع انه بدا لها انه اكبر منها سنا ، وكانت تشك بانه من غير زوجة حتى ذلك السن ، فكان غمزه ولسانه يطاردانها أينما جلست وقامت ، فقالت لطبيبة عاملة مثلها في المركز واقدم منها خدمة وعملا : هو الدكتور لطيف اعزب ؟

ردت ضاحكة : ليس بأعزب ؛ لكنه نسونجي اقصد عينه فارغة كثير البصبصة والتعليق على العوانس مثلك .. هو طبيب قليل الأدب ، متزوج وله أطفال في المدارس .. يحب معاكسة الطبيبات العزباوات

ـ لأنه يزعجني بكلماته اللاسعة والسافلة ونبهته دون فائدة

ـ قليل الخجل .. كلامه قبيح مع أن الذين يعرفونه اكثر مني يقولون جبان في البيت يعيش معها كالأرنب الذليل

ـ يأتي هنا لينفس عما يعانيه من جبن في البيت .. حقير قبل أيام يطلب مني قبلة صباحية .. فتركت مكتبه وخرجت وأرسلت ممرضة تطلب منه معاينة مريضة زيادة تشخيص

ـ نحن المتزوجات اقل وقاحة معنا ؛ ولكننا لا نخلى من كلماته القذرة أمامنا

ـ نعم ، أنا أحببت أن اعرف عنه اكثر

ـ أنت لماذا لم تتزوجي ؟

ـ كرهت الزواج وأنا طفلة لم أحيض بعد

ـ ما زلت عذراء

ـ نعم ، ما زلت عذراء وسأموت عذراء.. بغض إلي الزواج وتلك العلاقة

ـ ولا ترغبين بالأبناء

ـ ولا ارغب بهم .. شكرا على المعلومات عنه .. فلسانه قذر يتكلم بألفاظ جنسية دون حياء حتى مع الحوامل

ـ لا ادري لماذا لا يستغني عنه المستشفى ؟! رغم الكثير من الشكاوى جاءت عليه من المرضى وأهليهن

***

لم تعد فلورا تحتمل ألفاظ لطيف أمامها وأمام المراجعات فطلبت جلسة مع مدير المركز العلاجي وشرحت له ما تعانيه من الجراح لطيف وكثرة استخدامه الألفاظ الجنسية الصريحة أمامها وأمام

المريضات اللواتي يستغربن من وقاحته وأن على الطبيب كثيرا أن يستخدم الإيحاء والإشارات دون التصريح ، فقال المدير : لقد وردني الكثير من الشكاوي عليه ؛ ولكنه جراح ماهر يا دكتورة وله اكثر من عشر سنوات يعمل معنا

ـ أنا لا اطلب فصله أو الاستغناء أنا اطلب أن يغير من طريقة الحديث معي أو مع غيري أو مع المراجعات فهو يسبب الإرباك والإحراج للجميع .. ونحن لا يهمنا انه نام مع فلانة أو المغنية فلانة أو الرياضية فلانة .. أو الرقاصة فلانة ... ما يهمنا أن نسمع مثل هذه السخافات الحقيرة يا دكتور ..أنا عاشرت تلك في ... ويذكر أماكن فسق معروفة

ـ صدقي انني نصحت له وسأستدعيه الآن وتسمعي كلامي معه

نادى خادم المكتب الدكتور لطيفا وسمع شكوى فلورا فقال للمدير بوقاحة : هي لو أنها متزوجة مثلنا لا تكترث لمثل هذه الكلمات الناعمة بل تطرب لها .. فهي عزباء ولا تعرف كلمات المتزوجين

صاحت : أنت أمام امرأتك تقدر تقول لها نمت مع المغنية أو الممثلة فلانة أنت في بيتك يقولون انك أرنب لا تعمل من نفسك دون جوان أو كازنوفا

قال المدير : هدي نفسك يا دكتورة

ـ حسنا أنا سأقدم استقالتي.. أنا لا احب الوقاحة وقلة الأدب حتى أمامك غير محترم

قال لطيف : أنا محترم رغم انفك مع الف قلعة ، لن نذرف الدموع على فراقك

قال المدير : عيب يا ناس أن تتشاجروا في مكتب المدير .. خلاص قدمي استقالة يا فلورا ما دمت لا تستطيعين تحمل قلة أدب لطيف

***

مكثت فلورا شهرا بدون عمل حتى اتصلت بها زميلة مستشفى درست معها تعرض عليها الاشتراك بعيادة خاصة ، وبعد مقابلة في مطعم فندق اتفقتا على إقامة عيادة نسائية خاصة بهن وقمن بإنشائها وتوقيع عقد شراكة عند محامي ليقوم بترخيصها من وزارة الصحة ومن مؤسسة

الشركات المشرفة على عقود الشركات التابعة لأحدى الوزارات ، وخلال شهرين تم افتتاح العيادة الطبية الخاصة بالنساء ، فأصبحت فلورا وزميلتها ناعمة تعملان في عيادتها الخاصة في شارع تكثر فيه العيادات الطبية باختصاصات كثيرة

كانت جلسة استراحة في العيادة ، وقدمت لهن موظفة السكرتارية والاستقبال الشاي الصباحي وقالت ناعمة : ما زلت ترفضين الزواج ؟

ـ ما زلت لم تهف نفسي للزواج أو الذرية كم طفلا لديك اليوم ؟

ـ أنا كما تعلمين تزوجت بعد البكالوريوس والطب العام ، ثم دخلت الاختصاص متزوجة ووهبني الله طفلين عبد الله ومارية ؛ ربما ننجب الثالث؛ ربما ما زلنا مترددين أنا والسيد زوجي لماذا لم تجربي ولو طفل واحد ؟

ـ لحتى الآن لا ارغب ولا احب ..قد أغير رأيي في يوم من الأيام

ـ المرأة ليست كالرجل .. وأنت تعلمين اذا وصلنا إلى سن معين لا نستطيع الحمل هذا اذا حملت

ـ أمامي وقت لم ابلغ الخامسة والثلاثين بعد عزيزتي .. أنهيت احدى وثلاثين سنة

ـ أتمنى لك التوفيق من كل قلبي .. الحياة مع الأطفال احلى .. ما علاقة موت والديك غرقا بزواجك ؟ فالموت كل يوم نراه بين الأهل وبين الجيران والأصدقاء

ـ صدقي لا ادري السبب لهذه العقدة والنفور من الرجال كزوج أو صداقة مع انني لست متدينة كما ترين .. ولا افقه شيئا في الدين.. ويقال انني مسلمة ولا اعرف ما هو الإسلام ولا الدين لقد تعلمت في مدرسة الجالية الإنجليزية ورغم ذلك لم أتعلق بصداقة مع شاب أو فتاة ممن درسنا معا

ـ أنت نموذج غريب فعلا يا فلورا

***

بعد فتح العيادة بخمسة اشهر مات الجد رومي متأثرا بمرض السرطان الذي عصف به من سنوات ، وحزنت عليه فلورا كما تحزن على أي ميت ، وسرعان ما ذهب الحزن عليه مع أنها

عاشت معه اكثر من عشرين سنة ، وكانت قد تعاقدت مع خادمة تعمل ليل نهار في البيت منذ أنهت الاختصاص بدل التي كانت تعمل ساعات محددة من النهار ، وكان العقد معها مع ايفا أن لها أن تقضي يوما في الأسبوع كإجازة ويمكنها الحضور ليلا للنوم ، وكان يوم عطلتها يوم الاثنين إلى صباح يوم الثلاثاء ، فكانت فلورا يوم الاثنين تخدم نفسها بنفسها وفي الغالب تجلب وجبة العشاء من الوجبات السريعة والأطعمة الجاهزة المنتشرة اليوم في المدن والأسواق الكبيرة اتصل ابن خال لها بعد موت جدها بفترة وجيزة راغبا بزيارتها ، وكان مهندسا بحريا يعمل مع الأسرة في تجارة الاستيراد والتصدير بالسفن الكبيرة والصغيرة ، فرحبت بزيارته ؛ فكانت أحيانا تقابله في زيارتها لقبر والديها في بيرايوس في أثينا .

المهندس يحمل اسم اسكندر نيكولاس شقيق أمها هيلين اندرو ، وبعد أن استقر في احد فنادق المدينة واستراح واغتسل انتقل لبيتها ليلا ورحبت به وتعانقا وقدمت لهما ايفا الخادمة الشاي وقال : أنت لا تشربين الخمر فلورا

قالت : لا يوجد خمر في البيت .. ستشربه في فندقك أو أي حانة في طريقك لم يكن الجد يشربه

ـ اعرف كان والدك لا يشربه كما يحدث الجد اندرو .. رحم الله جدك ووالديك .. متى نتعشى سوية ؟ إجازتي ثلاثة أيام فقط

ـ وقتما تشاء .. وقبل ذلك غدا نتعشى معا ..عندنا مطاعم جيدة وشبيهة بمطاعم أثينا أو مقدونيا يقال أن العرب كثيرون في بلادكم

ـ لقد حكمنا الأتراك مئات السنين كما نسمع وكذلك المصريون

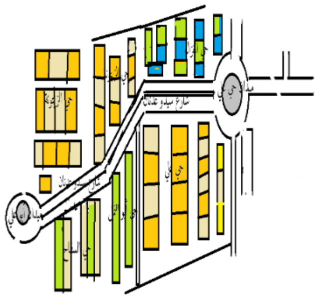
ـ نسمع ونقرأ في كتب التاريخ .. لقد أتيح لي الوقت الكثير للقراءة .. *بسط الأتراك العثمانيون سيطرتهم ونفوذهم على دول البلقان بعد فتح القسطنطينية بزمن قريب قيل في نفس السنة .. اليونان حكموها من سنة ١٤٥٣ ، وحكموها زمنا يزيد عن أربعمائة سنة كما تقول كتب التاريخ كانوا قوة عظمى في القرون الوسطى كما يسميها الأوروبيون .. أما المصريون فلم يحكموا اليونان ، أرسلهم الخليفة العثماني لقمع ثورات يونانية ضد الحكم التركي وتدخل الأوروبيين*

فظلت اليونان عثمانية لعام ١٨٣٣ .. ولكن الكثير من العرب في الوقت الحاضر يعيشون في اليونان

ـ هكذا سمعنا عنهم

ـ ذهبوا لإخماد ثورات حتى عام ١٨٣٣ .. وحصل الاستقلال عن تركيا وما زال الصراع بينهم على شمال قبرص التركية

احضرت إيفا القهوة ، وبعدها بقليل غادر على اللقاء مساء الغد على عشاء في بيت ابنة عمته وكان قدم لها التعازي بوفاة الجد من جديد



دعت جدها راضي وعميها لمشاركتها العشاء مع ابن خالها المهندس اسكندر ، ورحب الجميع ببعضهم وتعشوا على مائدة فلورا ، فهم لهم معرفة سابقة بالمهندس ، فهو قدم مرات مع جده اندرو لزيارة فلورا وجدها بزيارات خاطفة كما يقال ، وسهروا سهرة لطيفة ولما غادر المهندس بعده بقليل انصرف الآخرون مع الشكر والدعاء ، وفي اليوم التالي تركت إيفا في البيت وقالت لها : أنت تعرفين الانتركم بيننا وبين بيت عمي صالح اذا احتجت اليه اضغطي عليه فهو كما تعلمين في غرفة الجد رحمه الله ، كان يستخدمه الجد عندما تكون في الجامعة حتى اذا احتاج الجد لشيء أو مساعدة أثناء غيابها لمساعدته فهم يملكون مفتاحا للباب الخارجي فأحيانا كثيرة يحتاج لمساعدة كشراء أدوية أو نقل للمستشفى لأن الخادمة السابقة لا تعمل في الليل كما اشرنا سابقا

***

ذهبت فلورا لفندق اسكندر وبعد ضيافة سريعة في صالة الاستقبال انتقلا لصالة الطعام لتناول العشاء الذي دعاها اليه ، وكان الخمر على المائدة ، وهي رفضت أي خمر أو أي طعام فيه لحم خنزير ، فاكتفت بالدجاج المشوي ، وبعد الانتهاء من الطعام انتقل بها إلى مقهى الفندق وطلب لها الشاي المفضل عندها ، ونقل لها تحيات الأهل في اليونان ثم قال : أنت الآن فلورا وحيدة

ـ لست وحيدة بجواري أقاربي عماي وجدي راضي وأولادهم ماذا تقصد بوحيدة ؟

ـ اقصد أن عليك بالزواج ، لابد من شريك معك في الدار ، وانا ارغب بأن أكون هذا الشريك

ـ يا الهي ! أين ديانا ؟

ـ انتهت علاقتنا من شهور وافكر بالزواج منك

ـ أنا مسلمة وأنت أرثوذكسي لا يصح ذلك

ـ أصير مسلما مثلك

ضحكت وقالت : ومن قال لك انني سأتزوج ؟

ـ قلت ربما لأن الجد والد فادي هلك ومات قد غيرت رأيك

ـ لم أغير رأيي إسكندر .. ما زلت ابغض الزواج والأطفال

ـ زواج بدون أطفال

ـ أرجوك يا إسكندر لنبقى أصدقاء وأقارب .. واعتذر لخالي نيكولاس قبلك فلست بحاجة لزوج .. قل ما شئت

ـ كما تشائين أحببت أن اعرض نفسي ؛ لعلك تقبلين بي

ـ أنا احترمك كما احترم خالي وجدي اندرو ونحن أقارب

ـ حسنا ! إذن وداعا سنراك في موعد الزيارة السنوية

ـ أعلنت توقفي عن زيارة قبريهما رحمهما الله .. ربما أزوركم بينة الفينة والأخرى حسب الظروف

ـ تغير غريب!

ـ على المرء أن يتغير

ـ فلتتغير جهة الزواج

ـ قد افعل في يوم ما ؛ لكن لا تنتظرني قد يطول الانتظار

تعانقا مودعين لبعضهما ، وعادت للبيت ، وفي الصباح غادر إسكندر إلى المطار

***

اطلاق رصاص

كانت السيدة ايفا الخادمة قبل خروجها من شقة فلورا لقضاء الإجازة مع بنات بلدها الأصلي في تجمع ما ، كانت تقدم الخدمة لفلورا من طعام الإفطار والشاي والقهوة بالحليب ، وبعد مغادرة الدكتورة بعد التاسعة صباحا ، إما أن تخرج وتركب مع الدكتورة وتنزل في نقطة معينة أو تخرج بعد الدكتورة بساعة ، فبيت الدكتورة منذ مات الجد وضعت بيتها تحت حماية ورقابة شركة امن وحماية لو حاول احدهم فتح الباب عنوة أو في عدم وجودهما تتصل عليها وتخبرها بسعي احدهم دخول البيت في غير أوقات وجودها هي أو الخادمة ، فالخادمة عندما تغادر تترك ملاحظة لدى الشركة حسب الاتفاق أنها قد تركت البيت ، فيوضع البيت تحت المراقبة هذا كله تم ترتيبه بعد وفاة الجد رومي ، خرجت فلورا يوم الاثنتين كالمعتاد ويعدها بساعة خرجت ايفا وأخبرت الشركة الأمنية بخلو البيت منهما ، ولما وصلت فلورا العيادة كالمعتاد بعد السلام وقهوة المكتب يبدأ استقبال النساء والفتيات طالبات العلاج والكشف ، ولما يتوقف العمل وتخلو العيادة من المرضى يجلسن يثرثرن ويتحدثن عن أخبارهن وأخبار الطقس فقالت ناعمة أم عبد الله : هل غادر ابن خالك كما قلت لي انه في زيارتك ؟

ـ اعتقد انه سافر يوم السبت .. جاء يعرض عليّ الزواج بسبب موت جدي وأنني وحيدة

ـ ولم تقبلي طبعا

ـ لا ادري ! هي مجاملة أم رغبة حقيقية ؛ لكني اعتذرت له وتقبل الاعتذار بكل هدوء

ـ ستبقين تتلقين العروض إلى ما لا نهاية على لغة الرياضيات

ـ حقيقة أنا متعبة من هذه القضية لماذا تزعج الناس العنوسة ؟! مع انني لست المرأة الوحيدة التي لم تتزوج .. كثير من الأرامل والمطلقات عدا عن العوانس لا يتزوجن ولا احد قلق بشأنهن

ـ الناس تستغرب من عدم زواج أي فتاة عزباء ولماذا عنست ؟ الفضول البشري يدفعهم للمعرفة .. هناك فتيات لا تتزوج بسبب علة خفية فيها .. بسبب بشاعتها .. بسبب فقرها

بسبب عاهة فيها .. أما الفتاة الحسناء ظاهريا فتدفع فعلا للاستغراب وكذلك المتعلمة يقال ألم تجد طبيبا خلال سنوات الجامعة أو العمل تتزوج منه ؟

ـ المهم جاء المهندس لهذا الغرض ، وذكرت له أيضا انني مسلمة وهو نصراني فلم يعلق على هذا الاعتراض فقال أصير مسلما ، ثم ودعنا بعضنا بعضا على ما أظن أصدقاء وأقارب كما كنا والأيام تؤكد ذلك وأنت ما أخبار أطفالك ؟

ـ كلنا بخير .. وزوجي يرغب بضيافتك وتناول عشاء معنا

ـ سأفعل فهو رجل لطيف مثلك

ـ شكرا لك منذ عزومتك لنا ونحن نفكر بذلك

***

عادت مساء للشقة وأخبرت مكتب الأمن بأنها دحلت البيت ، ولما هبط الظلام رغبت بشرب القهوة مع الطعام ، فوجدت وعاء القهوة البودرة فارغا ، فذهبت لغرفة الجد وضغطت على جرس الانتركم في بيت عمها صالح ، فرد عليها ابن عمها صالح فقالت : خادمتي مجازة اليوم كما تعلمون ولم اجد مادة القهوة في البيت ، فلو تكرمت عليّ بأن تطلب من أبي ضرار بإرسال نصف كيلو منها

قال ابن العم : حاضر .. أي غرض غير القهوة

ـ شكرا سلم على العم

أغلقت الجهاز وعادت للصالة في انتظار القهوة لغلي جزء منها ، وبعد عشر دقائق رن الجرس وحملت المسدس الخاص بها والمرخص قانونا ، فكل هذه الاحتياطات الأمنية طلبتها منها شركة الأمن والحماية ففتحت الباب ودخل الشاب قائلا : هذه القهوة يا سيدتي اتصل الأستاذ معن .. أين الخادمة ؟ لماذا لم تبعثيها ؟

ـ مجازة أنت ابن أبي ضرار

ـ أنا احدهم هل من خدمة أخرى سيدة فلورا ؟

ـ شكرا وظلت تنتظر انصرافه لتغلق الباب خلفه ؛ لكنه اغلق الباب واخرج سكينا مهددا به وطالبا منها خلع ملابسها ، وقال : أنا بحبك فرصة لننام معا اعرف انك بدون زوج

قالت بهدوء وحدة صوت : اخرج .. يا قليل الأدب .. تفكرني عاهرة يا خنزير

اقترب منها مهددا فلوحت بالمسدس بسرعة وقالت : هل تحب أن تموت .. ارم السكين

بل هجم متوحشا فانطلقت الرصاصة على بطنه وحاول أن يتقدم ثم سقط ، فاتصلت بابن عمها والشرطة ولما حضرت الشرطة حضرت الإسعاف ، وحضر أبو ضرار وسمع أقوال الدكتورة وقال : لم يكن معي في الدكان إلا هو ..يا ولد أنت حقير ! لم تجد إلا الدكتورة لتتعرض لها وقال للشرطة ولابن عم فلورا وللحاضرين : انه يتعاطى المخدرات

انتقل الجميع لقسم الشرطة ونقل الشاب المصاب للطوارئ ، وبعد تسجيل أقوال الطبيبة خرجت برفقة جدها راضي وأعمامها والمحامي الخاص بها ، وحول ابن أبي ضرار إلى السجن متهما بمحاولة الاغتصاب على جارة بقالة أبيه ، ثم كانت النتيجة الحبس وإغلاق القضية ، ولما انتهت القضية ، صممت فلورا على الرحيل عن الحي وبيع الشقة ، ورفضت أي ضغط من جدها راضي وأعمامها فرحلت إلى شقة ضمن عمارة من ست طوابق علوية فكان نصيبها شقة في الطابق الرابع ، قد أخليت من فترة قريبة ومعروضة للبيع ، واعجبها تقسيم الشقة التي تزيد عن ١٥٠ مترا كمساحة وامتلكتها بيعا ..وكانت العمارة تحمل اسم عمارة السيد الفقير .

***

رحبت ناعمة بزميلتها بعد غياب اكثر من عشرة أيام بسبب حادث الشقة والشرطة والمحكمة فقالت لها بعد الترحيب الحار : والله يا فلورا عليك التفكير بالاقتران وكما يقال ظل رجل ولا ظل حيط .. فمثل هذا الهامل طمع فيك وأنت جارته

ـ يا حبيبتي أنا لا خلطة لي بالجيران ولا الجارات ولا اعرف الصالح من الفاسد ..ولنا عادة بالاتصال بالدكان وطلب أشياء تنقص في البيت دون انتباه خاصة أيام حياة الجد فكان يتصل بصاحب الدكان ويذكر له الطلبات فيرسلها مع احد أبنائه الذين يعملون معه .. فأنا لا اعرفهم

ولا أميزهم ؛ لأنني في الغالب لم اكن في البيت إما في الكلية أو مستشفى الكلية يتحاسب هو والجد .. فعلى هذا الأساس طلب ابن العم القهوة من أبي ضرار كالعادة المتكررة بيننا ؛ ولكن تبين أن الشاب الذي ارسل بالقهوة يتعاطى المخدرات عدا عن الكحول المسكرة ولما علم بإجازة ايفا مني لأنني لم أرسلها لشراء القهوة فسأل عنها فطمع فيّ اللعين وأنني لقمة سائغة وانا كنت بعد موت الجد قد تعاقدت مع شركة امن شخصي للبيت ومنحوني مسدسا مقننا لحماية نفسي عند الضرورة والحذر عند استقبال أي غريب

ـ وظيفتهم وخبرتهم .. الآن أنت رحلت هل بقي العقد ؟

ـ بقي العقد وجددت العنوان فقط ينقلون أدواتهم ومعداتهم للشقة الجديدة

ـ الأشرار لا ينتهون

ـ هو في السجن ، ثم سيخرج لن يبقى فيه للابد .. فقلت الأفضل ترك المنطقة

ـ حمدا لله على سلامتك وعلى عودتك لقد عشت محنة معك

ـ شكرا على تعاطفك وتعاطف زوجك .. نعم كانت محنة .. ذكرتي بمحنة مقتل الطبيب المغتصب في الجامعة أيام الاختصاص

ـ سمعنا بها وتألمت وتضايقت مما حصل معك

***

عاد وعم الهدوء حياة فلورا وعادت الحياة للروتين ، ذات نهار دخلت عيادتها امرأة محجبة وعرفت بنفسها بمحاضرة في كلية جامعية تدرس مادة التاريخ فهي تحمل شهادة دكتوراه في علم التاريخ بعصوره المختلفة ، وكانت مشكلتها الطبية أنها تعاني من فترة من نزيف من الرحم يذهب ويعود ، وهناك شك بانه سرطان رحم كما قيل لها ، بعض المتدينات الملتزمات تجتهد أن تعالج عند طبيبات إناث ، وهذا لا يتوفر دائما في مستشفيات الكليات الطبية ، فتحب مراجعة طبيبات متخصصات في طب النساء فقامت الطبيبة فلورا بالفحص اللازم وقالت : سأقوم بوصف أدوية تمهيدية ثم نعمق العلاج قبل أن نذهب للاستئصال اذا كان سرطان رحم

أو غيره

نزلت عن سرير العلاج وأخذت تلبس ثيابها وغطاء رأسها فقالت فلورا : ألا تتضايقين من كل هذه الألبسة ؟

ابتسمت دكتورة التاريخ وقالت : قالوا انك مسلمة مثلنا وإن كان اسمك اجنبي وقريبة من مكان عيشنا

رحبت فلورا بها ثانية وقالت : أنا مسلمة ؛ ولكني لا افقه شيئا من الإسلام .. لا أقول علمانية فلا اعرف العلمانية .. أنا مثل الكثير من نساء المسلمين دون ايدلوجية اخضع لها

ـ جيد تعريفك بنفسك ! أما لهذا اللباس فتعودت عليه كما تتعودين على أي لباس ساتر أو غير ساتر للبدن .. ونحن لباسنا المتدينات .. هذا تدينا وطاعة ؛ ليس موضة وتقليد تراثي كما يدندن العلمانيون والشيوعيون والملحدون في كل الأرض .. لباس الأنثى المسلمة تقرب إلى الله ؛ كما يلبس الرجال الإزار والرداء في الحج أو العمرة تقربا وطاعة لله .. الإسلام وضع قواعد عامة للزي سواء للرجل أو المرأة .. باختصار لندع المجال للأخريات المنتظرات.. هو عبادة كالصلاة وغيرها

ـ شكرا لك على سماعي ..هل من الممكن أن اجلس جلسات معك خاصة لعلي افهم الإسلام أو اعرفه اكثر ؟

ـ لا مانع لدي تلفون بيتي عند الكاتبة أو السكرتيرة ما ادري الوصف المناسب لها ؟!

ـ شكرا مرة أخرى أين تسكنين ؟

ـ لست بعيدة عن مكان هذه العيادة بيننا شارعان جئتك مشيا على الأقدام

***

شبهات حول الحجاب

عادت مساء للشقة وقدمت لها الخادمة كأسا كبيرا من الشاي ، وأشعلت سيجارة وكانت تفكر بالدكتورة إسراء وقولها عن الحجاب واللباس والأمر الرباني

تناولت كتاب سبق لها أن تصفحته وذهبت لشبهات دعاة السفور والرد عليها :

شبهات دعاة النسوية حول الحجاب الذي شرعه الله للمؤمنات

الشبهة الأولى: يدعي بعض دعاة التبرج والسفور بأن الحجاب تزمت في الدين ، والدين يسر لا تزمت فيه ولا تشدد ، وإباحة السفور مصلحة تقتضيها مشقة التزام الحجاب في عصرنا .

والجواب: إن تعاليم الدين الإسلامي وتكاليفه الشرعية جميعها يسر لا عسر فيها، قال تعالى: يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، وقال تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: ٧٨] ، وقال: {لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٣٣] فهذه الآيات صريحة في التزام مبدأ التخفيف والتيسير على الناس في أحكام الشرع

الشبهة الثانية: الحجاب من عادات الجاهلية فهو تخلف ورجعية لان العرب طبعوا على حماية الشرف ، ووأدوا البنات خوفا من العار، فالزموا النساء بالحجاب تعصبا لعاداتهم القبلية التي جاء الإسلام بذمها وإبطالها، حتى إنه أبطل الحجاب، فالالتزام بالحجاب رجعية وتخلف عن ركب الحضارة والتقدم.

الجواب: إن الحجاب الذي فرضه الإسلام على المرأة لم يعرفه العرب قبل الإسلام ، بل لقد ذم الله تعالى تبرج نساء الجاهلية ، فوجه نساء المسلمين إلى عدم التبرج حتى لا يتشبهن بنساء الجاهلية، فقال جل شأنه: { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} [الأحزاب: ٣٣] كما أن الأحاديث الحافلة بذم تغيير خلق الله أوضحت أن وصل الشعر والنقص كان شائعا في نساء اليهود قبل الإسلام، ومن المعروف أنه مما تستخدمه المتبرجات.

صحيح أن الإسلام أتى فأبطل عادات ذميمة للعرب، ولكن بالإضافة إلى ذلك كانت لهم عادات جميلة أقرها الإسلام فلم يبطلها، كإكرام الضيف والجود والشجاعة وغير ذلك، وكان

من ضمن عاداتهم الذميمة خروج النساء متبرجات كاشفات الوجوه والأعناق، باديات الزينة، ففرض الله الحجاب على المرأة بعد الإسلام ليرتقي بها ويصون كرامتها، ويمنع عنها أذى الفساق والمعرضين.

إذا كانت النساء المسلمات راضيات بلباسهن الذي لا يجعلهن في زمرة الرجعيات والمتخلفات فما الذي يضير دعاة النسوية في ذلك ؟! وإذا كن يلبسن الحجاب ولا يتأففن منه فما الذي حشر دعاة النسوية في قضية فردية شخصية كهذه ؟! ومن العجب أن تسمع منهم الدعوة إلى الحرية الشخصية وتقديسها، فلا يجوز أن يمسها أحد، ثم هم يتدخلون في حرية غيرهم في ارتداء ما شاؤوا من الشباب..

الشبهة الثالثة: الحجاب وسيلة لإخفاء الشخصية

يقول بعضهم: إن الحجاب يسهل عملية إخفاء الشخصية، فقد يستر وراءه بعض النساء اللواتي يقترفن الفواحش.

الجواب : يشرع للمرأة في الإسلام أن تستر وجهها ؛ لأن ذلك أزكى وأطهر لقلوب المؤمنين والمؤمنات. . وكل عاقل يفهم من سلوك المرأة التي تبالغ في ستر نفسها حتى أنها لا تبدي وجها ولا كفا فضلا عن سائر بدنها أن هذا دليل الاستعفاف والصيانة، وكل عاقل يعلم أيضا أن تبرج المرأة وإظهارها زينتها يشعر بوقاحتها وقلة حيائها وهوانها على نفسها ومن ثم فهي الأولى أن يساء بها الظن بقرينة مسلكها الوخيم حيث تعرض زينتها كالسلعة، فتجر على نفسها وصمة خبث النية وفساد الطوية وطمع الذئاب البشرية.

الشبهة الرابعة عفة المرأة في ذاتها لا في حجابها : يقول البعض: إن عفة الفتاة حقيقة كامنة في ذاتها، وليست غطاء يلقى ويسدل على جسمها، وكم من فتاة محتجبة عن الرجال في ظاهرها وهي فاجرة في سلوكها، وكم من فتاة حاسرة الرأس كاشفة المفاتن لا يعرف السوء سبيلا إلى نفسها ولا إلى سلوكها.

الجواب: إن هذا صحيح، فما كان للثياب أن تنسج لصاحبها عفة مفقودة، ولا أن تمنحه استقامة

معدومة، ورب فاجرة سترت فجورها بمظهر سترها، ولكن من هذا الذي زعم أن الله إنما شرع الحجاب لجسم المرأة ليخلق الطهارة في نفسها أو العفة في أخلاقها ؟! ومن هذا الذي زعم أن الحجاب إنما شرعه الله ليكون إعلانا بأن كل فاجرة تنحط في وادي الغواية مع الرجال ؟؟

إن الله فرض الحجاب على المرأة محافظة على عفة الرجال الذين قد تقع أبصارهم عليها، وليس حفاظا على عفتها من الأعين التي تراها فقط، ولئن كانت تشترك معهم هي الأخرى في هذه الفائدة في كثير من الأحيان إلا أن فائدتهم من ذلك أعظم وأخطر، وإلا فهل يقول عاقل تحت سلطان هذه الحجة المقلوبة: إن للفتاة أن تبرز عارية أمام الرجال كلهم ما دامت ليست في شك من قوة أخلاقها وصدق استقامتها ؟!

الشبهة الخامسة دعوى أن الحجاب من وضع الإسلام زعم آخرون أن حجاب النساء نظام وضعه الإسلام فلم يكن له وجود في الجزيرة العربية ولا في غيرها قبل الدعوة المحمدية.

الجواب : إن كان ذلك صحيحا، وقد شرعه الله تعالى لأمة الإسلام، ولم يكن في الأمم السابقة، فماذا في ذلك، فلا شك أن فيه صلاح الإنسان، فالله سبحانه وتعالى أعلم بمن خلق، كما قال: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: ١٤]

الشبهة السادسة: الاحتجاج بقاعدة: لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان، وقاعدة: العادة محكمة: فهم أعداء الحجاب وأعداء الشريعة من قاعدة : لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان وقاعدة العادة محكمة أنه ما دامت أعرافهم متطورة بتطور الأزمان فلا بد أن تكون الأحكام الشرعية كذلك.

الجواب: إن الأحكام الشرعية ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان ؛ لأنها تنزيل من حكيم حميد ولا ريب أن هذا الكلام لو كان مقبولا على ظاهره لاقتضى أن يكون مصير الأحكام الشرعية كلها رهنا بيد عادات الناس وأعرافهم وأهوائهم، وهذا لا يمكن أن يقول به مسلم، قال الله سبحانه وتعالى: وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)

الشبهة السابعة: نساء خيرات كن سافرات: احتج أعداء الحجاب بأن في شهيرات النساء

المسلمات على اختلاف طبقاتهن كثيرا ممن لم يرتدين الحجاب ، ولم يتجنبن الاختلاط بالرجال. وعمد المروجون لهذه الشبهة إلى التاريخ وكتب التراجم ، يفتشون في طولها وعرضها وينقبون فيها بحثا عن مثل هؤلاء النساء حتى ظفروا بضالتهم المنشودة ودرتهم المفقودة، فالتقطوا أسماء عدد من النساء لم يكن يبالين – فيما نقلته الأخبار عنهن – أن يظهرن سافرات أمام الرجال، وأن يلتقين معهم في ندوات أدبية وعلمية دونما تحرز أو تحرج.

الجواب: من المعلوم والمتقرر شرعا أن الأدلة الشرعية التي عليها تبنى الأحكام هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، فضمن أي مصدر من مصادر التشريع تندرج مثل هذه الأخبار، خاصة وأن أغلبها وقع على بعد من التشريع وانقطاع الوحي ؟!

وإذا علم أن أحكام الإسلام إنما تؤخذ من نص ثابت في كتاب الله تعالى أو حديث صحيح من سنة رسول الله ﷺ أو قياس صحيح عليهما أو إجماع التقى عليه أئمة المسلمين وعلماؤهم لم يصح حينئذ الاستدلال بالتصرفات الفردية من أحاد الناس أو ما يسميه الأصوليون بوقائع الأحوال فإذا كانت هذه الوقائع الفردية من أحاد الناس لا تعتبر دليلا شرعيا لأي حكم شرعي حتى لو كان أصحابها من الصحابة رضوان الله عليهم أو التابعين من بعدهم فكيف بمن دونهم ؟!

الشبهة الثامنة الحجاب كبت للطاقة الجنسية: قالوا: إن الطاقة الجنسية في الإنسان طاقة كبيرة وخطيرة ، وخطورتها تكمن في كبتها، وزيادة الضغط يولد الانفجار، وحجاب المرأة يغطي جمالها، وبالتالي فإن الشباب يظلون في كبت جنسي يكاد أن ينفجر أو ينفجر أحيانا على شكل حوادث الاغتصاب وغيرها ، والعلاج لهذه المشكلة إنما يكمن في تحرير المرأة من هذا الحجاب لكي ينفس الشباب الكبت الذي فيهم ، وبالتالي يحدث التشبع لهذه الحاجة، فيقل طبقا لذلك خطورة الانفجار بسبب الكبت والاختناق.

الجواب : لو كان هذا الكلام صحيحا لكانت أمريكا والدول الأوربية وما شاكلها هي أقل الدول في العالم في حوادث الاغتصاب والتحرش في النساء وما شاكلها من الجرائم الأخلاقية، ذلك لأن أمريكا والدول الأوربية قد أعطت هذا الجانب عناية كبيرة جدا بحجة الحرية

الشخصية ، فماذا كانت النتائج التي ترتبت على الانفلات والإباحية؟ هل قلت حوادث الاغتصاب؟ هل حدث التشبع الذي يتحدثون عنه؟ وهل حميت المرأة من هذه الخطورة ؟

جاء في كتاب الجريمة في أمريكا: إنه تتم جريمة اغتصاب بالقوة كل ستة دقائق في أمريكا، ويعني بالقوة: أي تحت تأثير السلاح.

وقد بلغ عدد حالات الاغتصاب في أمريكا عام ١٩٧٨م إلى مائة وسبعة وأربعين وألف وثلاثمائة وتسع وثمانين حالة، لتصل في عام ١٩٨٧م إلى مائتين وواحد وعشرين ألف وسبعمائة وأربع وستين حالة. فهذه الإحصائيات تكذب هذه الدعوى.

إن الغريزة الجنسية موجودة في الرجال والنساء، وهي سر أودعه الله تعالى في الرجل والمرأة لحكم كثيرة، منها استمرار النسل، ولا يمكن لأحد أن ينكر وجود هذه الغريزة، ثم يطلب من الرجال أن يتصرفوا طبيعيا أمام مناظر التكشف والتعري دونما اعتبار لوجود تلك الغريزة.

إن الذي يدعي أنه يمكن معالجة الكبت الجنسي بإشاعة مناظر التبرج والتعري ليحدث التشبع فإنه بذلك يصل إلى نتيجتين.

الأولى: أن هؤلاء الرجال الذين لا تثيرهم الشهوات والعورات البادية من فئة المخصيين، فانقطعت شهوتهم، فما عادوا يشعرون بشيء من ذلك الأمر.

الثانية: أن هؤلاء الرجال الذين لا تثيرهم العورات الظاهرة من الذين أصابهم مرض البرود الجنسي.

فهل الذين يدعون صدق تلك الشبهة يريدون من رجال أمتنا أن يكونوا ضمن إحدى هاتين الطائفتين من الرجال ؟!.

الشبهة التاسعة: الحجاب يعطل نصف المجتمع قالوا: إن حجاب المرأة يعطل نصف المجتمع، إذ إن الإسلام يأمرها أن تبقى في بيتها.

الجواب: إن الأصل في المرأة أن تبقى في بيتها، قال الله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} [الأحزاب: ٣٣] ولا يعني هذا الأمر إهانة المرأة وتعطيل طاقاتها، بل هو

التوظيف الأمثل لطاقاتها.. وليس في حجاب المرأة ما يمنعها من القيام بما يتعلق بها من الواجبات، وما يسمح لها به من الأعمال ، ولا يحول بينها وبين اكتساب المعارف والعلوم، بل إنها تستطيع أن تقوم بكل ذلك مع المحافظة على حجابها وتجنبها الاختلاط المشين.

الشبهة العاشرة التبرج أمر عادي لا يلفت النظر: يدعي أعداء الحجاب أن التبرج الذي تبدو به المرأة كاسية عارية لا يثير انتباه الرجال ، بينما ينتبه الرجال عندما يرون امرأة متحجبة حجابا كاملا يستر جسدها كله، فيريدون التعرف على شخصيتها ومتابعتها؛ لأن كل مصنوع مرغوب.

الجواب : ما دام التبرج أمر عادي لا يلفت الأنظار ولا يستهوي القلوب فلماذا تبرجت ؟! ولمن تبرجت ؟! ولماذا تحملت أدوات التجميل وأجرة الكوافير ومتابعة الموضات ؟!

وكيف يكون التبرج أمرا عاديا ونرى أن الأزواج مثلا تزداد رغبتهم في زوجاتهم كلما تزين وتجملن، كما تزداد الشهوة إلى الطعام كلما كان منسقاً متنوعاً جميلا في ترتيبه ولو لم يكن لذيذ الطعم ؟!

إن الجاذبية بين الرجل والمرأة هي الجاذبية الفطرية، لا تتغير مدى الدهر، وهي شيء يجري في عروقهما، وينبه في كل من الجنسين ميوله وغرائزه الطبيعية، فإن الدم يحمل الإفرازات الهرمونية من الغدد الصماء المختلفة، فتؤثر على المخ والأعصاب وعلى غيرها، بل إن كل جزء من كل جسم يتميز عما يشبهه في الجنس الآخر؛ ولذلك تظهر صفات الأنوثة في المرأة في تركيب جسمها كله وفي شكلها وفي أخلاقها وأفكارها وميولها، كما تظهر مميزات الذكورة في الرجل في بدنه وهيئته وصوته وأعماله وميوله.. وهذه قاعدة فطرية طبيعية لم تتغير من يوم خلق الله الإنسان، ولن تتغير حتى تقوم الساعة.

الشبهة الحادية عشرة: السفور حق للمرأة والحجاب ظلم. زعموا أن السفور حق للمرأة، سلبها إياه المجتمع ، أو سلبها إياه الرجل الأناني المتحجر المتزمت، ويرون أن الحجاب ظلم لها وسلب لحقها.

الجواب : لم يكن الرجل هو الذي فرض الحجاب على المرأة فترفع قضيتها ضده لتتخلص من الظلم الذي أوقعه عليها، كما كان وضع القضية في أوروبا بين المرأة والرجل، إنما الذي فرض الحجاب على المرأة هو ربها وخالقها الذي لا تملك إن كانت مؤمنة – أن تجادله سبحانه فيما أمر به أو يكون لها الخيرة في الأمر، قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا} [الأحزاب: ٣٦]

***

أغلقت الكتاب وأغمضت عينيها لثوان ، واكتفت بما قرأت عن الشبهات التي تثار بين كل حين وأوان بين الناس ومن دعاة تحرر المرأة الغربية والشرقية الكافرة والمسلمة وقالت : يا كم اجهل من الدين؟! .. ما السبب يا ترى ؟هل لأنني نصف أوروبية ؟ ولا يعنينني دين أبي وحتى دين أمي لا اعرف شيئا منه هو الآخر ؟ هل هذه هي العلمانية ؟ أم هو الغباء والجهل بشيء اسمه الدين ؟ حتى جدي لم يسع لدفعي لمعرفة دينه مع انني كنت أراه يصلي ويصوم في شهر رمضان اتخذت القرار بأن تعمق علاقتها بإسراء ؛ لعلها تعرف اكثر وتفهم اكثر ، فهي فرصة أتيحت لي بعلاجها عندي دون ناعمة فأصبحت طبيبتها

***

اتصلت فلورا بإسراء وبعد التحية سألتها عن صحتها فقالت الدكتورة : لم يتحسن الأمر كثيرا يا دكتورة فلورا وزوجي أبو محمد يرى أن نحسم الأمر ونزيل الرحم ؛ لعل النزيف ينتهي ما رايك ؟

ـ هذا ممكن اذا كانت كل المشكلة من الرحم ، فبعض النساء بإزالة الرحم والمبايض ينتهي نزف الدم ، فهذا الحسم يحتاج لمستشفى وتصوير رنين مغناطيسي وغيره من الصور الطبقية هل عندكم مستشفى خاص أم ادلك على المستشفى الذي نحول له من عيادتنا

ـ متى تزورينني ؟

ـ أنا عادة انتهاء وقتي العملي والدكتورة ناعمة الساعة الرابعة عصر كل يوم كل الأسبوع ما

عدا الجمعة العطلة الأسبوعية

ـ أنا ذكرت لك عنوان البيت بيت زوجي حميد وشقيقه حسون في بناية واحدة .. معك سيارة طبعا

ـ نعم سيارة جديدة من أيام اشتريتها .. سيارة الجامعة تخلصت منها حسب رغبة شركة الأمن لي قصة سأحدثك بها عندما نلتقي بإذن الله

ـ حسنا ! أنا في البيت اغلب الأيام لا اذهب للجامعة بسبب العلة

تأكدت من العنوان وغادرت العيادة متجهة لموقع سكن الدكتورة إسراء في شارع نور الدين زنكي ، لم تتغلب في الوصول للعنوان ، فلم يكن بعيدا عن العيادة فعلا سوى شارعين ، رحبت الدكتورة إسراء بفلورا وقادتها لغرفة الضيوف وهي ترحب بها وقدمت بنتا إسراء للسلام والترحيب بطبيبة أمهم الجديدة ، ثم غادرن بعد دقائق فقالت : لن أطيل عليك لعلك تحبين الاستلقاء فعليك يا عزيزتي الدخول للمستشفى يبدو عليك الإرهاق من النزيف يبدو أن العملية لابد منها .. لما يتحسن الوضع سأعود لزيارك ..كنت ارغب أن اسمع نصيحتك بما اقرأ عن الإسلام من الكتب المناسبة لأمراه مثلي في ضياع وتيه وجهل

ـ قراءة التثقيف غير قراءة المنهج يا سيدتي أنت تعلمين ذلك

ـ نعم أنا بحاجة لكتب مختارة ترغبني بالإسلام وفهمه

ـ لدينا نادي ثقافي إسلامي فيه مكتبة مفيدة ومحاضرات ممتعة ، عندما يتحسن الوضع سأعرفك على النادي والمكتبة .. صديقتنا هيام خير ما يدلك على الكتب المناسبة .. ولدينا جمعية إسلامية علمية واجتماعية .. فيها مكتبة ومدرسة ترعاها .. واغلب طلابها من الأيتام إن لم يكن كلهن وكلهم .. فكلما تعانين من الفراغ ففيهما فائدة .. لابد انك تعانين من وقت الفراغ بما انك لا زوج ولا أطفال .. ولعلي اسمع سبب هذا البعد عن الحياة الأسرية فانت حالة غريبة

ـ فعلا أنا غريبة ! لا انكر هذا أم انني لم التق بالرجل الشريف الذي يغير حياتي .. لكن العمر فات لم تعد فائدة من الحسرة والندم

شربت فلورا القهوة ثم قامت قائلة : أشكرك يا سيدة إسراء وعليك كما قلنا في البداية أن تذهبي للمستشفى فدمك كان ضعيفا في الفحص السابق وسنبقى على تواصل

ـ أختي رئيسة جمعية الأيتام وهي طبيبة مثلك ؛ فاذا أحببت التعرف عليها وزيارة الجمعية فسترحب بك

ـ جيد اعطني عنوان الجمعية واذكريني لها اذا مررت عليها سأتعرف عليها

ذكرت إسراء موقع بناية جمعية رعاية الأيتام ومدرستها لفلورا ، وكتبت تلفون أختها وسلمته للطبيبة ، وخرجت تودعها وتشكر لها زيارتها ، وكان يجلس في الصالة رجل فقالت إسراء : هذا زوجي أبو محمد يا دكتورة وهذه الطبيبة التي ذهبت إليها فلورا فادي فرحب بها وتمتم بكلمات ترحيب وشكر ، فلما أغلقت الباب بعد اختفاء الطبيبة قالت : الطبيبة تحثني بدخول المستشفى وإزالة الرحم فقد يساعد ذلك على توقف النزيف

قال مشيدا : هذا الصواب .. فالأمر زاد عن حده يا عزيزتي فأنت تفقدين الدماء يوميا .. هل نذهب الآن ؟

ـ سأتحمل للصباح

ـ كما تشائين

***

عمل المستشفى إجراءات إدخال لإسراء ، ثم بدأت عمليات التحاليل والفحوصات الأولية والتصوير المتنوع ، وبعد اكتمال النتائج تقررت عملية استئصال الرحم والمبايض تحت التخدير الكامل ، وبعد ساعات نقلت لغرفة المراقبة الطبية ، وفي اليوم الرابع للعملية كانت خارج المستشفى في البيت تعيش على المسكنات والأطعمة الخفيفة ، ثم بدأت تستقبل الزميلات في الحي والجامعة والأقارب والأرحام ، وكانت تعيش فترة نقاهة طبية وممن قدمن لزيارتها فلورا وقد تعرفت على أختها رئيسة جمعية الأيتام الخاصة بالقسم النسائي الدكتورة والطبيبة حياة التي زارتها فلورا وعرفتها بنفسها ، فرحبت به احر ترحيب وذكرت لها أن أختها حدثتها عنها

وأخذتها بجولة على أقسام الجمعية ونشاطاتها الخيرية ورعايتها لمجموعة من الأيتام من الجنسين غير الدراسة الأساسية للصفوف الستة الأولى والمساعدات المادية التي تقدم للأسرة التي فقدت معليها ، ورأت مكتبة الجمعية ونشاطاتها الثقافية ، وخرجت فلورا من تلك الزيارة بكفالة يتيمة واحدة بدفع مبلغ شهري لها ، وكانت تتابع حالة إسراء في المستشفى عن طريق الطبيبة حياة ، فهي طبيبة أطفال لها عيادة خاصة مع زميلتين وهي عيادة قريبة من الجمعية .

كان جدها راضي في آخر أيام حياته منذ شهور حتى اتصل بها عمها صالح مخبرا بموته في نصف الليل في مركز علاج الأورام ، وفي الصباح كانت تجلس بين نساء أقاربها في انتظار مجيء جثة الرجل لبيته لإلقاء نظرة الوداع ، فقد قيل انه قد تم تغسيله تغسيل الميت في مشرحة المستشفى ومع وقت الظهر ادخل البيت ملفوفا بكفن ابيض وفي تابوت خشبي والقى من احب نظرة الوداع وتكون بكشف الرأس من الكفن ثم بكى من بكى من النساء عليه ثم نقل للمسجد القريب من شارعهم للصلاة عليه ثم نقله لمقبرة الحي حي الزيتونة الأوسط ، وبعد خروج الجنازة للجامع أخذت النساء بالانصراف ، كانت فلورا ضمن المغادرين لم تذهب للعيادة بل عادت للبيت وهي تقول لنفسها : لماذا لم ابك مثل أولئك النسوة ؟ ولا دمعة واحدة .. هل أنا قاسية القلب ؟ لقد رأيت واحدة تبكي بغزارة ودمع مدار فهمست لإحدى النساء من هذه محمرة العينين كأنها تبكي على طفل لها ؟ فقالت المرأة : إنها جارتهم صديقة زوجته الميتة.. فقلت لنفسي : لا تمت له بصلة قرابة وتبكيه بحرقة !

***

اتصل عمها صالح بها في العيادة مخبرا لها بخروج ابن أبي ضرار الذي اعتدى عليها من الحبس بعد محكومية ستة اشهر في الحبس وهو كما نقل إليهم يهدد بالانتقام من الدكتورة

فقالت : يبدو انه لم يشبع من نصف سنة سجن

ـ المهم يا عمي خذي حذرك هؤلاء الحمقى المخدرات تجعلهم مجانين وسمعت أن أباه طرده من الدكان والبيت وينام في المزابل والشوارع

ـ شكرا عم صالح الأمر بيد الله

ـ من باب الحذر اعلم أن الأمر بيد الله وهو الحافظ لنا إلى اللقاء .. لا تنسي سنقيم أربعينية للحاج راضي فلا تنسي الحضور كان أبي يحبك كالجد رومي

ـ إن شاء الله لا انسى

كانت إسراء بعد العملية قد قدمت استقالتها من التدريس ، وزاد نشاطها في النادي الثقافي الإسلامي ، وكانت فلورا تذهب إلى هناك كثيرا لتلتقي بإسراء وتسمع منها عن الإسلام وأهمية الإسلام أن يكون حيا في الناس ، وتعرفت فلورا على كثير من رواد النادي خاصة من جنس النساء ؛ بل أصبحن زبائن عيادتها لثناء إسراء عليها حتى أن ناعمة أصبحت رفيقة لها كلما يغادرن للنادي أو الجمعية لسماع محاضرة ثقافية أو المشاركة في حفلة اجتماعية ، فقد كانت الجمعية أحيانا أو ربما أسبوعيا تقيم لحفل عشاء لأيتام من جمعيات ومراكز في المدينة وتوزع عليهم الهدايا والملابس ، وكانت الجمعية أيضا تذهب للمشاركة في جمعيات خيرية أخرى ، فكانت النشاطات كثيرة والمسابقات الثقافية والعلمية بينهم ، فوجدت فلورا بمثل هذه النشاطات إشغالا كثيرا للوقت ، ولما مضت سنة على صداقتها لإسراء تعلمت الصلاة والصوم والأذكار واللبس الشرعي وعظمت ثقافتها الدينية .

***

زارت حياة فلورا في شقتها في اتصال بينهن أثناء عمل فلورا ، وذكرت لها أنها ترغب في الحديث معها في موضوع خاص في بيتها ، فرحبت بها فلورا ، واتفقتا على موعد اللقاء وكان الخامسة والنصف مساء اليوم ، وادركت فلورا أن الموضوع سيكون زواجها ، وهذا اكثر ما يشغل النساء نحو فلورا التي تقترب من الأربعين سنة ، لما غادرت العيادة اشترت معها طعاما جاهزا لتتناوله مع الزميلة حياة ، وعلى الوقت رن جرس الشقة وظهرت صورة حياة على كاميرا الفيديو والأمن ففتحت الباب مرحبة بالطبيبة حياة ، وقبلت العشاء أو الغداء بروح طيبة معها مع أنها تغدت مع أسرتها وشكرت فلورا التي قالت : لم تأكلي كثيرا .. أحببت إكرامك كما تكرمينا في الجمعية

ـ أشكرك من قلبي أنا أتغدى مع الأسرة قبل العصر بقليل

أحضرت ايفا الشاي للطبيبتين وعادت لمطبخها ودار بينهن احاديث حول برامج ونشاطات ستقوم بها الجمعية للأيتام والمجتمع المحلي حتى قالت فلورا : ذكرت بالاتصال ظهرا أن موضوعا خاصا ستتكلمين به لا ينفع الكلام فيه في الجمعية

ـ صحيح وهذا هدف لهذه الزيارة الكريمة .. أنت أخت فاضلة وتفاجأنا لما عرفناك بأنك لم تكوني أما مثلنا .. وقبل ذلك زوجة .. وهذا أثار استغرابي من الأول .. ولم تكن المعرفة تسمح لي بالتدخل بأمر خاص ، ولكن لما كبرت الصداقة والأخوة بيننا يمكن سماع القضية والمساهمة في حلها اذا امكنني ذلك

ضحكت فلورا وقالت : اشكر اهتمامك الشخصي بي وبمشكلتي مع اني اليوم لا اعتبرها قضية أو مشكلة ولكنها اعلم أنها تلفت النظر لماذا فلورا لم تتزوج لليوم ؟

ـ هذا ما يتسأل المرء عنه !

ـ أنا ولدت في أثينا من أب مسلم من هنا ومن أم يونانية من هناك .. كان أبي مهندسا بحريا يعمل في مراكب وسفن لوالد أمي.. وجدي والدها زوجه من ابنته لظروف وأحوال لا اعرفها خرجت أمي معه مع أبي في رحلة شحن بحرية طويلة جهة الأرجنتين ففي العادة يمكن للزوجات مرافقة أزواجهن في رحلة تأخذ اكثر من عشرة أيام أمي أو غيرها .. وانا لم اكن معهم كنت في مدرسة داخلية منذ الصف الأول .. تعرضت السفينة والمركب كما قيل لي لعواصف شديدة في جنوب المحيط الأطلسي مما أدى لغرق السفينة بحمولتها ، فركب والدي وغيرهم احد مراكب أو قوارب الإنقاذ الموجودة في السفينة ؛ ولكنها لم تنقذهم وغرق كل من نزل في القارب وأعيدت جثثهما لليونان ؛ حيث دفنا هناك .. وبعد تسويات وتعويضات قدم جدي وأبناء أخيه واخذي للعيش معه في شارع سيدو عدنان .. ومن تلك المأساة كرهت الزواج والأطفال .. لم أحب العيش تلك المأساة مرة أخرى لي ولغيري

ـ وما زلت تعانين من تلك الحالة ألم تذهبي لعيادة طب النفس ؟

ـ ارتاحت نفسي لهذه الحياة ، فلم احب رجلا في حياتي التي انقضت

ـ ولم تحبي الزواج

ـ ولم احب الزواج ، ولا تلك العلاقة ، ولست راهبة فانا مسلمة ..عرفت إسلامي من سنة منذ عرفت أختك إسراء كنت أرى جدي يصلي ويصوم واعلم أن هذه عبادة إسلامية ولم افكر فيها ولماذا يفعل الجد ذلك؟ وهو لم يحاول تعليمي أي شيء.. كان يعتبرني افهم منه .. رغم صغري لأنني درست الطب .. لما جلبوني إلى هنا تعلمت في مدرسة جاليات إنجليزية وهؤلاء لا يعلمون الدين الإسلامي في مدرستهم يركزون على العلوم والآداب الإنجليزية ويسمحون للنصارى بحضور قداس الأحد ولمن احب من المسلمين

ـ واليوم هل تفكرين بالزواج على الأقل دون أطفال ؟

ـ الحق لا افكر ؛ ذلك يمر في فكري مرورا عابرا دون توقف

ـ على كل حال يا عزيزتي ويا أختي أنت مثل إسراء اذا فكرت بزوج بزوج فقط فهذا عندي

ـ لا ادري لماذا يرغب بي زوج ؟!.. فهل يقبل شاب دون الثلاثين بي زوجة؟ فسيبحث عن فتاة من جيله أو اصغر منه.. ومن في جيلي سيكون ارملا سواء بذرية أم لا أو مطلقا بذرية أم لا .. فالزواج انني تعلمت منكم نصف الدين فما زلت أراه بعيدا ؛ لأنني لا استطيع القيام بواجبات الزوج بعد هذا العمر

ـ هذا يأس ! ما زالت الرجال تتزوج وهم فوق السبعين ؛ ربما ذلك اقل في النساء .. أنا مستعد لمساعدتك في موضوع الزواج اذا رغبت بذلك .. المهم أولا الرغبة ثم تأتي مواصفات الرجل المختار .. ليس فقط زوج

أحضرت الخادمة القهوة لهن فقالت فلورا بفطنتها أنها تحمل رسالة : هل تحملين اسما معينا ؟

ضحكت حياة وقالت : أنا فعلا احمل اسما معينا ؛ وليس هو من طلب نقل الرسالة

ـ هل التقيت به في النادي أو الجمعية؟

ـ ربما .. بصراحة سأذكر لك من هو لتفكري والحسم لك فهو لا يعرف

ـ زوج أختك إسراء !

قالت دهشة ومصعوقة : كيف عرفت ؟! هل حدثتك إسراء بذلك ؟

ـ لم تحدث بذلك ؛ لكن خرجت منها تلميحات بانها ترغب بعد العملية بتزويج زوجها

ـ صدقت إسراء .. تحب أن تزوج أبا محمد قرينها .. فهي لم تعد ترحب بتلك العلاقة الشرعية رغم أن عمليتها لا تؤثر على المعاشرة الزوجية وأنت سيد من يعرف ذلك .. فهي ترغب بأن يتزوج لترتاح من ناحيته .. فهي تعاني من كل جماع بينهما .. فقالت لي : ليت فلورا تقبل به فهو ليس بحاجة لأطفال وان قدر الله لها فبها ونعمت فأحببت نقل رسالة أختي إليك لتفكري قبل أن نكشف الأمر لزوجها حميد .. فكري واذا قبلت فستتحدث معك أختي بكل صراحة وامتنان وهذا لن يغير من حبنا لك وحبك لنا .. فصادقتنا تقوم على أخوة الإسلام

***

مشروع زواج

شجعت ناعمة شريكتها بالتفكير في عرض إسراء وأن الزواج آية من آيات الله تعالى فقالت : فكرت يا أم عبد الله وما زلت ارفض الارتباط ؛ فلست متحمسا له ؛ ولست فادرة على مساعدة رجل في شأن بيته ، تعودت على من يخدمني منذ وعيت أيتها الصديقة ؛ فكيف احب رجلا بعد كل سنوات العمر التي مضت وكيف لا اظلمه معي ؟

ـ الزوج ونيس وأنيس وشريك حياة ، فلا تظننين أننا نقضي عشرات الساعات في أحضان الزوج يا فلورا ! نقضي ساعات نوم واكل اكثر من ساعات الحب والمعاشرة .. أنت تعودت على الوحدة .. هل تتفرجين على الأفلام؟

ـ لا ، لا ، لا احب التلفزيون .. قليلا من الوقت كنت أقضيه أيام حياتي مع جدي عندما أجده يتفرج .. لا اذكر انني تابعت مسلسلا ؛ إنما هي نتف تأتي عرضا .. ما هي اغلب الأفلام والمسلسلات روايات .. فبعض الساعات مع الرواية والقصة يدرك القارئ المسلسل أو الفيلم حتى انهم يحرفون أفكار المؤلف والكاتب ؛ ليناسب الفيلم أو توفير أجرة ممثل ، فيشوه الكتاب والقصة .. التلفزيون وشاشات العرض الفضائية ديكور في البيت قد ينتشر خبر مثير فأهتم بالمشاهدة

ضحكت ناعمة وقالت : أنت طبعة عجيبة لم تمر عليّ نسخة منها ! .. لا تهتمين بالأزياء والموضة المهم لباس مهما كان المهم طعام مهما كان

ـ أنا أحيانا أظن وأحسب انني لست طبيعية اختلف عن الناس

ـ أنت طبيعية ؛ لكن خياراتك صعبة .. على كل حال هي فرصة أن تتقبلي اقتراح حياة

ـ اخشى بحسن نية تدمير حياة الرجل مع بناته وأولاده.. فالأبناء لا يفكرون يا ناعمة بطريقة التضحية ، وان أمهم قبلت بضرة بطيب خاطر حتى لو سمعوا منها سيعتقدون أن أباهم ضغط عليها ليتزوج عليها

ـ عجيب ! ولا خطر في بالي هذا الخاطر .. أنت تفكرين بعقليتهم !

ـ هي الخواطر تأتي لي .. واعلم أنها تفعل ذلك من عطفها عليّ ومن حبها لي .. وانا لا احب ذلك العطف أنا اخترت هذه الحياة بعقلي وقلبي وكأي أنثى تعرضت لشباب ورجال يرغبون بي زوجة وأما لأطفالهم

اقتنعت إسراء بخواطر فلورا حول زواجها من زوجها وقالت : أفكارك عجيبة ؛ ولكنها واقعية وقد لا يستوعب الأبناء فكرة تزويج أمهم لصديقتها لأبيهم ، ويرون ذلك أمرا ضخما ، فهم لم يعيشوا الحياة الزوجية بعد .. علينا أن نبقى أصدقاء يا عزيزتي ؛ فأنا منذ عرفتك وانا اقدر صادقتك وحبك لي .. الجمعية تفكر بالذهاب إلى عمرة إلى بلاد الحرم اذا لك رغبة أن ترافقينا سأذهب أنا وزوجي والبنات معهم

ـ وهل يجوز أن اذهب بدون محرم كما تعلمت منكم ؟

ـ الأصل المحرم كزوج وعم وخال .. ولكن هناك رخصة تسمح بذهاب المرأة بصحبة نساء وقافلة فمحرمك النساء المرافقات جميعهن

ـ ويسمح بدخولي بهذه الصفة

ـ تسمح السفارة بذلك ، ومكاتب العمرة بذلك

ـ ما المطلوب ؟

ـ جواز سفر صالح المفعول

***

استمتعت الدكتورة بزيارة الديار المقدسة ، وبدأت الرحلة من المدينة بحافلات مريحة وقامت بالتعرف على مسجد المدينة والقبر الشريف لسيد ولد آدم ، ورأت عشق الناس رغم المشقة والحر لتلك الديار ، ثم رأت كيف احرم الناس من ميقات أهل المدينة المنورة ؟ وفعلت مثلهم وكانت موجودة بين إسراء وأسرتها طعاما ومناما ؛ كأنها واحدة من العيلة ، ثم طافت حول البيت العتيق وسعت بين الصفا والمروة وتحللت من الإحرام بقص بضع شعرات فانتهت العمرة ، ورجعت من العمرة بشيء جديد لم تفكر فيه في يوم من الأيام ، لما كانت تسمع حديثا

عن فلان راح للحج راح للعمرة تستغرب شغفهم بالحديث عما جرى معهم ، وهذا كان يحدث أيام دراستها في كلية الطب عندما تسمع حماس الطالبات المتدينات والشباب بحديثهم عما حدث معهم أو مع رفاقهم من كليات أخرى ، فوجدت نفسها جاهلة وساذجة في القراءة عنها ووجدت أن الممارسة غير القراءة والفعل

***

أخبرت ناعمة شريكتها أنها قد تترك العمل ليومين ، والسبب أن شقيقا لها قدم من أمريكا بعد هجرة اكثر من عشرين سنة ، ذهب بعد الثانوية للدراسة وعاد هذه الأيام ، فقالت لها : خذي راحتك هل احضر أمريكية معه وأطفال ؟

ـ لا أمريكية ولا أطفال ، لم يتزوج مثل الكثير من الشباب الغربي يستمتعون بالنساء بدون زواج وبدون مسؤولية

ـ هذا امر عادي في أمريكا أو أوروبا حتى اليونان بلد أمي تعيش الفتاة سنوات مع الرجل وقد تلد منه دون عقد أو زواج صريح

قالت ناعمة : الناس هناك تتقبل هذا العرف

ـ كل الشعوب لديها تقاليد تبدو غريبة لمن لا يعرفهم ..من الغد ستبدأ الإجازة

ـ نعم ، لن احضر الأحد والاثنين .. الثلاثاء سأكون هنا

بالفعل رجعت ناعمة للعمل بعد يومين ، واستقبلتها شريكتها بالأحضان والقبل وقالت : كيف تركت الأخ القادم من الغرب الأمريكي؟

ـ الحمد لله .. هو أخي الوحيد يا فلورا منذ هاجر لم اره .. قمت معه بجولة على العمات والخالات .. ومن عاداتنا غداء هنا وآخر هناك ..

ـ كم أخت لك ؟

ـ الأخوات أربعة والذكور هو فقط ، واسمه قاسم درس اقتصاد .. فنحن لنا بعض الأقارب هناك

ـ الحمد لله على سلامته ، زائر أم مقيم

ـ الأمر غير واضح لديه .. يفكر باستثمار هنا فإذا رأى بوادر نجاح سيبقى لإدارته .. واذا راه سيفشل سيتخلص منه ويرجع إلى هناك

علقت بالقول على مخطط قاسم : هذا يعود لهمته يا ناعمة، ومن سيعمل معه ويستعين بهم وطبيعة المشروع وحاجة السوق له

ـ هو يدرك كل هذا .. وأمي تفكر بأن تزوجه ليبقى .. فوالدي كما تعلمين توفي أيام دراستي الطب العام اذكر انك قدمت بيت العزاء

ـ نعم ما زلت اذكر .. اليوم عندي زيارة للنادي فما دام أخوك نزيلا عند امك فلا داعي للذهاب معي ..

ـ ماذا يوجد عندهم الليلة ؟

ـ محاضرة كالعادة محاضرة إسلامية أظن موضوعها لماذا أوروبا تكره المسلمين ؟

ـ عنوان رهيب ومن سيلقيها ؟

ـ لا ادري أنا إسراء دعتني لحضورها وسيحدث نقاش لمدة نصف ساعة بعد المحاضرة التي ستبدأ بعد صلاة المغرب

ـ سأذهب لبيت أمي إن لم يكن قاسم هناك سأمر على النادي

***

دخل شاب بشكل غريب يلبس بنطالا واسعا وقذرا يكاد أن يسقط عن حقويه ، ولحية ليست لحية ، وشعر شبه محلوق عيادة فلورا وناعمة فقالت له موظفة الاستقبال : أي خدمة ؟

تطلع الشاب في الموجودات بانتظار الدخول على الطبيبة وقال : الدكتورة فلورا هنا ؟

ـ هذه عيادة للنسوان يا حضرة السيد

ـ اعرف يا مدام .. أريد رؤية الدكتورة فلورا

ـ الدكتورة غير موجودة نقول لها من لما تحضر ؟

خرجت ناعمة وقالت : ماذا يريد يا أميرة ؟

التفت إليها وقال : جئت للحديث مع جارتنا فلورا

ـ جارتك فلورا .. من أنت ؟

ـ جارها القديم قبل أن ترحل أنا ابن البقال أبي ضرار .. هي تعرفني ارغب بالصلح معها

ـ الصلح معها على ماذا ؟ ماذا فعلت لها ؟

ـ هي حبستني وأبي طردني بعد الحبس .. أريد أن تشفع لي عند أبي تعبت من نوم الشوارع ومحطات الحافلات

ـ الدكتورة ليست هنا لما تحضر سأقول لها ذلك

اشعل سيجارة وخرج مزمجرا ولما ابتعد قالت : لمن الدور يا أميرة ؟

فأشارت أميرة لفتاة فتبعت الطبيبة لغرفة الفحص والعلاج

***

اتصلت ناعمة بفلورا التي تغيبت بسبب الإنفلونزا الموسمية التي ضربتها ، وقصت عليها قصة الشاب فقالت فلورا : هذا الشاب الذي حاول الاعتداء علي.. خرج من السجن من اشهر كما علمت من عمي صالح واعلمني عمي من فترة قريبة انه يرغب بأن أتحدث مع أبيه ليصفح عنه ويسمح له بالعودة وانه لن يفعل ذلك إلا بشفاعتي له، وعمي يقول أبو ضرار مصر على ذلك

قالت ناعمة : تذكرت تلك القصة المرعبة

ـ سأتفق مع عمي ونذهب لابي ضرار من أجله .. أنا رحلت من شقة جدي وبعتها بسببه .. أول مرة اسمع شابا يرغب أن تذهب ضحيته لتصالحه مع أبيه وأهله

أنهت ناعمة الاتصال فاتصلت فلورا بعمها وقصت عليه زيارة ابن أبي ضرار الفاسد للعيادة وعمل شغبا للنساء ، وطلبت منه أن يرسل ابنه يوسف ليأخذها من البيت ستنظره على باب العمارة ؛ ليذهب معها لابي ضرار ليسمح لابنه بالعودة ، فقد قبلت الذهاب لأبيه وفعلا بعث صالح ابنه يوسف وركبت معه إلى بيت أبيه وبعد ضيافة وسماع أخباره مشى معها إلى دكان أبي

ضرار فتعجب الرجل لما رآها لفلورا تلبس مثل الجلباب وتغطي رأسها فقال مستوضحا : ما بك يا حكيمة ؟

ضحكت وقالت : عدت إلى الله وكيف أنت ؟

ـ أهلا بالحكيمة ..

ـ أرجوك يا عمي الفاضل أن تتصالح مع ابنك ؛ فأنا منذ تلك الفعلة نسيته وهو في النهاية ابنك اليوم كان في عيادتي يطلب شفاعتي لتسمح له بالعودة للبيت ..

قال صالح : أرجو يا جاري أن تقبل شفاعة الدكتورة .. لقد ازعج نسوان العيادة المراجعات والتمسن من هيئته وصراخه

التفت أبو ضرار لاحد الأبناء وقال : ابحث عن النمس ستجده عند قهوة عبدو وأت به لأقول له أمام الجار صالح أبي ربحي وابنة ابن عمه انني صفحت عنه وقبلت شفاعتهم فيه

بعد ربع ساعة كان الشاب يقف على باب الدكان وقد انقلب رأسه لما عرف أن الحكيمة تمشيخت فاعتذر لها وقال: كانت ساعة شيطان يا حكيمة

فقال أبو ضرار : لولا شفاعة الحكيمة وعمها صالح ما عفوت عنك .. اذهب عند امك وانقع نفسك في الماء والصابون لمدة ساعة واتحمم .. وخليني أراك على صلاة العشاء في المسجد وإياك أن تذهب لعيادة الحكيمة وتسربع النسوان .. هذه عيادة نسوان مريضات

فأخذه اخوه للبيت لينفذ وصية الأب، وقدم الرجل الشكر للحكيمة وعمها وقال : فضحنا فضيحة مدوية لليوم الناس تتكلم عليها

***

فتحت فلورا باب الشقة لصديقتها إسراء وأخذتها بالأحضان والترحيب الحار كما تفعل معها إسراء عندما تزورها أو تزور أختها ، وكان اللقاء عن موعد بينهن ، كالعادة أحضرت ايفا الفواكه ووضعتها أمامهن ، ثم قدمت عصير الليمون وقالت إسراء : ألم تذهب الإنفلونزا ؟

ـ بقاياها غدا سأباشر العمل بإذن الله .. لا نذهب للعمل خشية نقلها للمراجعات فبعض

الناس تصيبها العدوى يا أختي الكريمة

ـ صحيح ، تسلم عليك حياة احر التحيات

ـ أكيد افتقدت زياراتي خلال هذه الأيام ؛ لكنها تعلم بمرضي .. كنتن نعم الأخوات لي

ـ أنا جئتك لأهمس لك اني وجدت لزوجي الغالي عروسا ، وتركت امر حضورك لك.. اقصد حفلة الزواج ؛ لأن الزواج سيكون بعد الاتفاق النهائي

ـ الف مبارك يا حبيبتي واشكر نبلك ؛ ولكني بينت لك أني نفضت يدي من الاقتران من قبل أن أعرفك .. كيف حدث زواج أبي محمد ؟

ـ أقنعت أخته لتبحث له عن زوجة تقبل أن تكون ضرة .. وشرحت لها وضعي الصحي وعجزي عن تلك العلاقة ..وما زال شقيقها لديه طاقة .. وتمنع في البداية ثم قبل وجهة نظري وكلفت أخته أم وسيم حتى لا يتحسس احد من الأبناء من ناحيتي كما لفتِي نظري يوم أحببت أن تكوني ضرة لي

ـ أحسنت الفعل ! سيتقبل الأبناء وخاصة البنات مشورة العمة .. وانا سأحضر الحفلة بدون أي حساسية يا عزيزتي .. وانا اكبر همتك نحو أبي محمد وموقف يحسب لك

ـ زوجي أديب ولا يشكو يا حبيبتي من تهربي من المعاشرة ؛ ولكني احس به ، وتارة الصمت رسالة .. وانا اعلم انه لا يمكن أن يخونني .. فهو متدين اكثر مني ولا أتخيل أن يقع ذلك في نفسه .. وانا من قبل العملية وانا عاجزة عن إشباع رغبته بسبب كثرة النزيف .. إذن ستحضرين الحفلة

ـ أكيد ما دمت أنت ستحضرينها فلم لا احضرها

وقصت عليها قصة ابن أبي ضرار فقالت : أتراه يرتدع وينسى حماقته ؟

ـ فعلت ما رأيته مناسبا ما دام يرى انني أنا العقبة بينه وبين أبيه .. عمل إزعاج ذلك النهار في العيادة

ـ لعل وعسى .. يبدو أن والده الفاشل في تربيته كان جادا بطرده .. هكذا الكثير من الناس

يتركون أولادهم بغير تربية إسلامية وجيدة ثم يرقعون قبحهم وفسادهم

***

عرضت ناعمة على شريكتها فكرة الزواج من شقيقها الوحيد قائلة : أمي مصرة على زواجه من بنات البلد فقال لها في بنات بلد في أمريكا

قالت فلورا : صدقي يا حبيبتي ويا شريكة العمر أنا نفضت يدي من حلم الزواج .. وأكيد امك بدها خلفة منه .. وهل شقيقك متدين ؟

ـ الصحيح لم أره يسجد سجدة لله ؛ ولكني قلت لنفسي قد يتدين مثلنا ..فأين كنا قبل سنوات قليلة ؟ وأين صرنا اليوم ؟.. فنهاية الحياة المادية الإفلاس أو الضياع بالمسكرات والمخدرات

ـ اشكر عواطفك نحوي .. فكرة الزواج طارت يا ناعمة .. فمن يتزوجني قد أسبب له التعاسة ببرود العاطفة عندي ..

ـ تمنيت لك الزوج الصالح والحياة الأسرية وما دمت ترفضين فأتمنى لك السعادة التي تحبينها

ـ هل علمت أن إسراء وجدت زوجة لزوجها؟

ـ حقا ! كيف ؟

قصت عليها ما سمعته من إسراء واخت أبي محمد فقالت ناعمة : أحسنت صنعا ! فلن يعترض الأبناء على اختيار العمة ولن يتحسسوا من فعل عمتهم ما دامت الأم قبلت .

ـ الشباب في سن المراهقة يفسرون الأمور بمشاعرهم وعواطفهم فيظنون أن أباهم كره أمهم لذلك تزوج عليها .. أما لما العمة تفعل ذلك يحسنون الظن بأمهم وأبيهم

ثم تابعت فلورا : هذا ما كنت قلقة منه .. وهذا يدل أن الرجل راغب بالزواج

قالت ناعمة : ما هي كانت مريضة قبل العملية بسبب كثرة النزيف مع كل دورة شهرية ثم تابعت : كان لي عم يعاني من ذلك مع زوجته كل جماع يسبب لها نزيفا مهبليا وتنقل للعيادة في أنصاف الليالي فترجته أن يتزوج عليها ويعتقها ففعل وظلت على ذمته من اجل الأولاد

***

تلقت رسالة من جدها اندرو اليوناني يطلب منها زيارته لحدوث قضية غريبة يخبرها فيها انهم وجدوا أختا لها بعد مضي كل هذه السنوات من العمر ، فقد كانت هيلين عشيقة لشاب أيام الجامعة في أثينا ، وولدت منه طفلة أودعت ديرا للقطاء والأيتام ، ولما اشرف العشيق كاستور على الموت اخبر الابنة اليزا بمن هي أمها واهل أمها ، وكتب لها رسالة بذلك وذهبت إليه وذهب إسكندر للرجل واستمع له قبل موته من أيام وسجل اعترافه ، وطلب منها الحضور للتعرف على أختها اليزا وأولادها جيسون وأثينا .

فصدمت فلورا من القصة وظهور أخت لها من أمها هيلين بعد هذا العمر ، وهي لم تستغرب من إقامة أمها علاقة جنسية مع شاب أو شابة مع شاب أيام الجامعة ، أما أن تسمح لنفسها بالحبل والولادة ، فأخبرت ناعمة بالأمر وطلبت منها أن تستعين بطبيبة أخرى تساعدها حتى ترجع من اليونان ، وتعرف التفاصيل وتتعرف على الأخت التي خرجت لها من تحت الأرض

فقالت ناعمة : لماذا تسلم الفتاة نفسها لحبيب وتحبل ولا تكتفي بعلاقة عابرة ! أما حبل وإخفاء الحبل عن الأهل فهذا شيء مقيت للعائلة

ـ مساوئ الإباحية في الجامعات الغربية

ـ متى السفر ؟

ـ خلال أيام سأتعرف على الأخت وانا لما ماتت أمي حصلت على كل أموالها فالآن صار لي شريكة .. والحمد لله انني ما زلت املك المال فلها حق فيه مثلي

ـ هل المبلغ كبير ؟يمكنني مساعدتك ؟

ـ شكرا لك أنا لا اصرف كثيرا الشقة ملكي ، لست مستأجرا وورثت عن أبي وعن جدي نصف ثمن شقته فشقيق جدي ورث من أخيه بما يسمى عصبة النصف

ـ أنا مستعدة لكل مساعدة

***

كانت هيلين تدرس في جامعة أثينا وتعيش مع طالبات في سكن مشترك ، وكانت الطالبات

كغيرهن يقمن علاقات جنسية مع من هب ودب باسم الحرية الشخصية ، وهي حرة بجسدها ولا أهمية للعذرية والبكارة في تربيتهم ،أحبت هيلين شابا من الجامعة اكثر من غيره ورغبت بأن يكون زوج الغد ، فحبلت منه وبرضاه ، ولم ولدت قد اخفت ذلك عن أهلها ، أعطته الطفلة إياها حتى يتزوجا قانونا فيكشفان الأمر للأهل أو بالأخص أهلها ، ولكنه لم يكن مكتفيا بعلاقة مع واحدة ، فغادرت الجامعة ونسيت أمره ونسيت الطفلة لتنتقم بها منه ومن خيانته ، ثم زوجها والدها اندرو بعد زمن يسير من البحار المهندس العربي فادي رومي وقبلته ، وأنجبت منه فلورا ، وتركت أي حبل بعد فلورا ، وظل امر اليزا مخفيا ؛ ربما بسبب موت هيلين بزمن ليس بالطويل ، وكانت الطفلة في رعاية راهبات الدير ، واعتنى كاستور الزوج العشيق بابنته التي لم ينجب غيرها ممن مارس معهن الحب ، ولم يتزوج طيلة سنوات عمره ، وكبرت اليزا وهي لا تعرف من أمها ، وتزوجت وولدت طفلا وطفلة حتى مرض أبيها، فاعترف لها بمن هي أمها وانه تسي إخبارها بسبب موت أمها وهي بنت خمس سنوات فلا داعي لتنغيص حياتها بميتة ، وهي منذ فراقها لم تسأل عنها ثم كتب رسالة لوالد هيلين يعترف له بقصته مع ابنته أيام الجامعة والصمت عن ولادة الطفلة وذهبت بها اليزا للجد المعروف والمشهور ببيرايوس الذي صعق للحقيقة ، ولعن ابنته في سره وارسل ابن ابنه نيكولاس الهالك من سنوات المهندس إسكندر الذي يدير شركته بزيارة الزوج وسماع القصة وصحتها ، ففعل وسجل اعترافا للرجل وأن لها وثيقة ولادة في الدير الخاص باللقطاء والأيتام فما كان أمام الأسرة إلا الاعتراف بها ابنة لهم ، واضطر الجد بكتابة رسالة لفلورا لتتعرف على أختها اليزا ، ويودعها فهو يحس بقرب النهاية ، ويطلعها على آخر وصية له كتبها المحامي ، فكتب الرسالة وجاءت فلورا ودهش الشيخ من لباسها وقصة عودتها للدين فهي ابنة مسلم ، وأسف لعدم زواجها لليوم

***

التقت فلورا بأختها اليزا وأولادها ، كانت تزيد ست سنوات على فلورا ، تربت في الدير ودرست فيه حتى نقلها والدها إلى مدرسة ثانوية في المدينة ، وعاشت معه فهو لم يتزوج كان

يمارس الجنس مع صديقاته وعشيقاته دون عقد زواج أو حتى زواج مدني ، واذا ملّ واحدة بحث عن غيرها ، واذا ملت هي الأخرى بحثت عن غيره ، ولكنه اعتنى بابنته الوحيدة وادخلها الجامعة ، وتخرجت من كلية الفنون كمدرسة الرسم ، وظلت بدون زواج رسمي حتى بلغت احدى وثلاثين سنة فزوجها والدها بصديق له ، وولدت منه طفلين ، وقبل سنوات مات الزوج ورفضت أي زواج بعده ، ولما اتعب المرض والدها كاستور اعترف لها بمن هي أمها وكتم عنها ذلك ،لأن أمها ماتت شابة ، ولم يحب تشويه سمعتها ، فكتب لجدها رسالة حتى لا تبقى وحيدة بدون أهل وزوج ، فذهبت إلى الجد اندرو بتلك الرسالة ، وصدم بذلك ؛ ولكنه لم ينكره ؛ فهذا الحدث منتشر في كل العالم الغربي فارسل ابن ابنه إسكندر للرجل وسجل اعترافه وتأكد من وثيقة الدير فأصبحت اليزا حفيدة له وأخت غير شرعية لفلورا ، وبعد ذلك مات والدها المريض والمنهك ، وانتقلت الأرملة للعيش عند جدها ، وارسل رسالة لفلورا للحضور للتعرف على أختها فهو في أيامه الأخيرة كما كتب لها ، هذا ما سمعته من اليزا عن قصتها وحياتها ، وتقدمت فلورا لها ولجدها بأنها ستقسم ما ورثته عن أمها بينها وبين اختها اليزا ، رحب الجد بذلك واثنى على الحفيدة ؛ ولكن اليزا رفضت القسمة وقالت : ورثت عن أبي الكثير وانا اعمل مدرسة في تعليم مادة الرسم والفنون ، فقال الجد : خلاص احتفظي بها فلورا واذا احتاجتها يوما فأعطيها نصيبها ؛ فهي تشعر بانها ابنة غير شرعية لا حق لها في أموال أمها ، وسترثون عني الكثير من المال ؛ فليس لي أنت وهي واسكندر وشقيقه هكتور .

ولم يطل الوقت حتى رحل الجد ، فقد بلع من العمر اكثر من سبعين سنة ؛ ربما ثمانين كما يقول إسكندر ، ولما انتهى الدفن والعزاء بدأت فلورا تستعد للسفر ، ووعدها الإخوان بإرسال حصتها من الميراث والوصية إلى حسابها الخاص اذا لم تحب الحضور للاستلام ، فستقوم المراكب البحرية والأرصدة البنكية وممتلكات الجد العقارية وفي النهاية قال إسكندر : ستصبحين مليونيرة فلورا أنت واليزا .. ماذا ستفعلين بها ؟.. أنا وأنت لا ذرية لنا ستعود لشقيقي هكتور واليزا وأولادها

قالت : هكذا الدنيا .. سنترك كل شيء بعد الموت لم نر أحدا حمل ماله معه

ـ صحيح لا احد قبلنا اخذ شيئا ألم تجدي زوجا بعد؟

ـ وجدت ؛ ولكنني ارفض الزواج .. كما يقال فات القطار

ـ لكنك صغيرة يا آنسة

ـ قريب من الأربعين

***

قامت إسراء بزيارة عيادة ناعمة وبعد السلام والتحايا قالت : جئت استعلم عن فلورا حياة قالت لي كلاما غريبا عن سفرها لليونان

جلسن في غرفة الفحص وقالت : قهوة يا أميرة للدكتورة اذا سمحت

وقالت : قبل سفرها المفاجئ قالت ارسل لها جدها العجوز والد أمها رسالة صادمة كما قالت يخبرها فيها بأن لها أختا ولدتها أمها وهي تدرس في الجامعة ، ومن عهد قريب اعترف والد الفتاة لها باسم أمها وأهلها

ـ لم يكن يعرفون بها

ـ هذا ما كتب في الرسالة ، تعرفت على شاب في الجامعة وحملت منه ، ثم تركا الطفلة في رعاية دير ، ولما اقترب موته اعترف لها بأن أمها فلانة وأنها ميتة وان جدها موجود حي يرزق فذهبت برسالة اليه ، ثم كتب لفلورا بذلك ، وهي ذهبت للتعرف عليها وعلى أولادها ودفع حصة المال التي ورثتها عن أمها أي نصفها لأختها .. وجدها في الرمق الأخير من حياته ربما هذا الذي أخرها لليوم .. فعمره كما قالت قريب من الثمانين .. معمر

ـ أنا اتصلت بشقتها بخادمتها قالت سافرت لرؤية أهلها في أثينا ، وتحدثت معك أختي حياة فقالت لي انه ظهر أن لها أختا من أمها فدهشت حقيقة ، ولكني لما سمعت منك الآن فهمت الوضع ، فهناك الأبناء غير الشرعيين امر طبيعي بسبب الإباحية الجنسية وبسبب العلاقات بدون عقود زواج .. فالزواج الديني عندهم معقد .. والطلاق معقد في النصرانية كما نسمع ؛

ربما ببعض الطوائف اسهل من الأخرى

ـ اشربي القهوة هذه هي القصة .. التأخير ليس بسبب التعارف التأخير بانتظار موت الرجل الذي قال لها انه في النفس الأخير وارغب برؤيتك وبقائك في لحظاتي الأخيرة

ـ شكرا وآسف على الإزعاج ؛ لكني قلقت فهي أصبحت من العائلة

ـ صدقت فمن أحبته تحسين أنها جزء منها .. كيف أنت مع ضرتك ؟

ـ ليس ولا بد ..تغار مني وأتجنبها لا أريد أن يحمل عليها زوجنا ، ويقال غارت إسراء بعد أن زوجت زوجها .. المرأة تظل امرأة حتى الأولاد بدا عليهم الانزعاج من تصرفاتها معي .. ولو طلبت الطلاق سيدمر البيت يا أخت ناعمة ؛ ربما سيضطر أبو محمد إلى طلاقها هي .. فسأصبر ثم اذا زادت غمزها بي سأرحل وأعيش بعيدا عنهم

ـ هل حملت من زوجك؟

ـ لم تحمل لحتى الآن ؛ وربما تحمل .. هي من جيل فلورا أو جيلك فأنت من جيل فلورا

ـ نفس العمر أربعين إلا اشهرا .. أنا درست وإياها في كلية الطب أما الاختصاص لم أتخصص في جامعة البكالوريوس تخصصت في جامعة تعمل فيها أخت من أخواتي

ـ ما أخبار قاسم شقيقك؟

ـ يرفض الزواج القانوني .. وأمي تصر وهو يرفض ؛ بل بدأ يهدد بالعودة فتسكت الأم يوما أو يومين ، ثم تعود للأحفاد منه

ـ الله يهدي الجميع لما تعود شريكتك اتصلي بي فورا فأنتم أعزاء عليّ منذ عرفتكما

ـ هذا من لطفك يا دكتورة لم تعودي للجامعة فصحتك تحسنت بعد العملية

ـ أنا لم اترك نهائيا ؛ ربما أعود .. أما الآن فلا

***

جريمة جديدة

قالت فلورا وهي تستعد لمغادرة اليونان لاليزا: اذا أحببت المجيء لبلدي فالبلد ترحب بك سواء زيارة أم إقامة دائمة .. ولنكن على كل حال على تواصل دائم ..

ـ سأقوم في يوم ما بزيارة وطنك .. أنا طلبت من جدي أن يعرفني عليك .. وانا من اجل أولادي جيسون وأثينا والمدارس لا استطيع الابتعاد عنهم ، وكذلك وظيفتي المدرسية مع انني استطيع التقاعد الاجتماعي فأنا لي قريب من العشرين سنة ادرس بين مدرسة وأخرى.. أنا انتقلت لهذه المنطقة بعد موت أبي فزوجي مات قبل أبي ، ورحلت إلى البقاء قرب الجد أما أبناء الخال نيكولاس فاسكندر يدير شركة الجد وشقيقه هكتور يعمل في السياسة وغير متفرغ لشيء من أعمال الجد وزوجته كما رأيتها في العزاء هي بنت عضو برلمان قديم ..ربما في عطلة الصيف ازور بلدكم مع الأولاد .

ـ على الرحب والسعة .. القدر جمعنا .. أنا لم أتزوج كما قلت لك سابقا

ـ أنا تلقيت بعض العروض ورفضت يا عزيزتي ! ما الزواج عند الأربعين؟! ..سأكون صفرا على الشمال سأكون خادمة .. سأجد لديه كل يوم صديقه أو بنت هوى سيقال لي أنت عجوز يعشقون الصبايا بنات الملاهي .. فحتى أبي بعد ترملي قال لي أصدقاء يقبلون بي زوجة لهم فقلت خلاص جربت وعندي طفلان والحمد لله

ـ ولماذا لم يتزوج هو ؟

ـ بالضبط لا ادري رغم انه كان يملك مالا كثيرا عن والديه ، وكان يعمل في شركة كبيرة ويأخذ أجرة جيدة .. كان للأسف يعيش على علاقات عابرة وصديقات مؤقتة من بنات الشركة أو غيرها وحتى لم ينجب غيري ولو بدون عقد كما حصل بينه وبين أمنا

ـ سنبقى أخوات وصديقات وبلدي يرحب بكم في الصيف وفي كل وقت

ـ أنت لطيفة يا دكتورة شكرا على الدعوة

***

ما كادت فلورا تدخل الشقة حتى رن باب الشقة ؛ فاذا هي إسراء وحياة وأخذن الفتاة بالقبل والحضن فقالت إسراء : لك وحشة يا فلورا .. الحمد لله على السلامة وأهلا بك في وطنك وبلدك.. غالية على قلوبنا

وأظهرت حياة الأخرى حبها وترحيبها بها وقالت : منذ اتصلت بناعمة وأنت في المطار اتصلت الفاضلة بإسراء فورا

قالت إسراء : أنا طلبت منها ذلك .. الحب من الله .. لقد دهشنا من قصة ظهور أخت لك بعد هذا العمر

قدمت الخادمة الخدمة لهن وقصت فلورا قصة رسالة الجد وقصة عشيق أمها وابنتهما قبل زواجها من أبي حرصا من الجد على بقاء فادي مهندسا معهم ، وذكرت رفض أختها اخذ حصتها من ميراث أمهما وإنما كانت رغبتها بلقاء أختها فقط والتعرف عليها ، وذكرت وفاة الجد والملايين التي تركها بعد عمر امتد لثمانين عاما فقالت حياة : الحمد لله على السلامة ماذا ستفعلين بهذا الميراث الكبير ؟

قالت : منذ اخبرني الجد بما ترك وابن خالي إسكندر وانا افكر .. هو قسم الوصية بيننا الأربعة أنا وأختي وابني خالي الميت

قالت إسراء : بما فكرت

ـ افكر بإقامة مستشفى للفقراء والنساء الفقيرات أو مركز صحي يهتم بهذه الفئة من الناس

قالت حياة : فكرة رائعة ! لكن عليك بدراسة المشروع دراسة جيدة حتى يدوم ..

قالت إسراء : تحتاجين لاستثمارات تغذي المشروع حتى يبقى قائما .. فهناك أدوية وأطباء ورواتب دائمة وخدمات

ـ سأفكر بعمق فعلا كما قلتن .. وانتظر حتى اعرف قيمة الميراث

قالت حياة : نعم عليك أن تدرسي المشروع بتأن وروية وسماع مستشارين

قدمت ايفا العشاء ، ولم تستطع المرأتان الاعتذار وقالت فلورا أثناء العشاء : كيف أنت وزوجة

زوجك ؟

ضحكن قليلا وقالت حياة : لا تسير الأمور حسب رغباتنا يا دكتورة .. لم يكن اختيار المرأة موفقا .. فهي تسعى للخلاص من إسراء

ـ يا الهي ! لم تقدر ما قمت به ؟

قالت إسراء : الحق على أخت أبي محمد .. يبدو لي والله اعلم يا حبيبتي أنها صورت نفسها هي وراء زيجة أخيها لا تعلم المرأة أنها رغبتي أنا .. غابت عن بالنا تلك النقطة

ـ وما الحل ؟

قالت حياة : الحل إما أن تطلق المرأة أو إسراء

ـ يا الهي !

قالت إسراء : عندي حل ، وما زال في القلب أن ابتعد أنا والأولاد عن البيت اتركه لها ولزوجي

قالت : وهل يقبل أبو محمد بهذا الحل ؟

قالت حياة : لا أتصور حدوث ذلك .. سيفضل حميد طلاق الجديدة ويضحي بشهوته

قالت فلورا : الأمر شائك يا أم محمد

ـ سأتحمل واصبر حتى يطفح الكيل أنا لا احب الشكوى لزوجي وانا التي رغبته بالزواج عليّ! سيقول ألم اقل لك الغيرة ستنشب بالبيت ؟

قالت حياة : بالتأكيد سيقول ذلك وهو محق بذلك

تنهدت إسراء وقالت : الأمر لله ..والحمد لله على السلامة ومبارك عليك الأخت والثروة وسنراك قريبا في النادي والجمعية

ـ شكرا لكما واذا عجزت عن إنشاء المشفى سأجعل جزءا كبيرا من العيادة للمساعدة اكثر مما نفعل الآن

وعاد العناق وخرجن نحو وجهاتهن

***

كانت فلورا تستعد لاستقبال زميلات من النادي والجمعية ، فهؤلاء اهم الأصدقاء منذ عرفتهن وممن يجاملن بعضهن في المناسبات الحزينة أو المفرحة ، وفي الليل مرت ناعمة للسلام ولم تمكث طويلا وطلبت منها أن تستريح يوما آخر فقالت فلورا : استرحت هناك حتى أصابني الملل والكسل .



وباشرت العمل في الصباح التالي وكانت في شوق للعمل ، وأعلمت شريكتها بأنها تفكر بأن تشتري قطعة ارض وتبني عليها طابقا للعيادة وطابقا تسكن فيه وتؤجر شقتها الحالية ، ومقابل إيجار العيادة يقدم لمساعدة الفقيرات ، فقبلت ناعمة الفكرة ، وشكرت صديقتها على الفكرة ، ولما وصل أول تحويل بمبلغ مليونين دولار اشترت بيتا في نفس المنطقة وتم هدمه وإنشاء بناية من ثلاث طبقات ؛ فذلك مسموح به في تلك المنطقة والضاحية ، وكان الطابق الأرضي للعيادة النسائية والطابق الثاني مكاتب أو عيادات ثلاثة ، والطابق الثالث شقة لها وشقة للإيجار وخلال هذه الفترة تحدث معها إسكندر ابن خالها قائلا : انهم قرروا عدم بيع الشركة لنجاحها في السوق العالمي ، وسيدفعون لها حصتها السنوية من الأرباح ، فراقت لها الفكرة ، وقال لها بعد بيع الاستثمارات الأخرى سيحول لها المزيد من المال فشكرت همته ، فالذي يعيق توزيع المال الضرائب والديون التي يتأخر تحصليها .

بعد عيشها في الشقة الجديدة بفترة وجيزة أخبرتها الطبيبة حياة أن بنات أبي محمد ضربن زوجة أبيهن حتى أنها أدخلت المستشفى من شدة الضرب بالعصا ، وشكت عليهن لشرطة المستشفى وتم توقيفهن في مقر الشرطة حتى تشفى الضرة والطلاق يلوح بالأفق فقالت فلورا : لم يكن اختيار الأخت أم وسيم موفقا ما موقفها ؟

ـ للأسف موقفها سلبي ، فالمرأة معرفة لها وجارة وبنت صديقة جارة لها ، وتدينهم صورة

ـ وماذا تفعل إسراء ؟

ـ تتفاوض مع زوجها على ترك البيت

ـ شقتي الثانية في العمارة الجديدة لم تؤجر بعد أو شقتي هناك .. فأي واحدة تحت أمرها بدون أجرة

ـ غالية يا غالية ..والدنا من الأثرياء .. وهي تملك المال يا حبيبتي ؛ لكن المشكلة إبعاد الأبناء عن أبيهم وقد دخل الضرب بينهم سيعود

ـ ولماذا ضربنها أصلا؟

ـ شتمت امهن أمامهن ودفعتها بعنف حتى كادت تقع عن الكرسي فلم يتحملن الأذى فتناولت إحداهن عصا قشاطة مسح الماء وانهالت بها عليها والأخرى تصفعها بالشبشب حتى فقدت الوعي وحضرت الشرطة والإسعاف والزوج المسكين

ـ هل يمكنني المساعدة بشيء يا أم هيثم ؟

ـ هل بأيدينا شيء ؟ نسيت أن أسال هل رحلت للشقة الجديدة ؟

ـ نعم ، رحلنا أجهزة العيادة وهي تقريبا في نفس المنطقة ورحلت اكثر العفش من تلك الشقة التي سأعرضها للإيجار قريبا والطابق الثالث شقة لي وهناك أخرى لمستأجر واذا رغبت إسراء العيش بجواري فهذه نعمة وفضل أنا منذ عرفتكن تعلقت بكن

ـ ونحن كذلك ، لا اعتقد أبي أن يقبل فلسنا فقراء .. فأنا طبيبة وأختي دكتورة جامعة ممكن بالإيجار يا عزيزتي يسكت الوالد

ـ اذا كان الحل هذا فلن نختلف سيكون العقد صوريا والمال للجمعية ، فقد وصلني كما قلت مليونان وقد أقمت هذا البناء بفضل الله وما زلت افكر بمستشفى الفقراء .. وهناك استثمار في اليونان لا اعرف قيمته الآن

وقصت عليها ما سمعته من إسكندر فمدحت حياة الفكرة ، فقالت فلورا : لما اعرف القيمة السنوية بإذن الله تعالى سأحسم امر المستشفى ؛ كما قلت أنت واختك الأمر يحتاج لدعم مستمر فاحدهم قال عليك ببناء عقارات تؤجر ويكون مردودها لإدامة عمل المشفى فالعقار يبقى

استثماره ثابت إلى حد كبير قد ينقص شهرا أو شهرين بسبب الصيانة ؛ ولكنه يبقى مصدر دخل قلّ الدخل أو كثر

ـ مشروعات العمارة مشروعات مهمة .. فكثير من المؤسسات والجمعيات تعتمد على دخلها سوى التبرعات .. لكن المشفى يحتاج إلى كادر ورواتب دائمة وخدمات وأدوية باستمرار .. على كل انتظري حتى تعرفين أرباح شركة جدك اندرو .. وهناك أوقاف ووقفيات أخرى قد تقومين بإنشاء مستوصف للعلاج الأولي وتحويل بعض الحالات للمستشفيات ، وقد يكون العلاج بأسعار رمزية لدعم المستوصف أو المشفى .. وكما أخبرتيني بانك لن تأخذي إيجارا من العيادة وسيكون لدعم الفقيرات والمحتاجات من الجمعية ومن نرسله إليكن .

***

قبل زوج إسراء برحيل إسراء وأولادها للعيش في شقة مستأجرة على أن يدفع هو الإيجار كحل للمشكلة القائمة بين الزوجة الجديدة والأولى وأولادها ، فاتفقا على النصف ؛ لأنها ستباشر العمل لم يعد النزيف إليها بعد تلك العملية ولن يكون هناك معاشرة لتسبب لها الآلام ، وسكنت في شقة بجانب فلورا التي سعدت بجوارها ، وكان لإسراء أربعة أولاد ، بنات اثنتان مريم وامل في الثانوية العامة ، وولدان في الإعدادية محمد واحمد ، وكانت خادمة ايفا تقوم بخدمة بيت إسراء أثناء غيابها بأجرة مضاعفة ؛ لأن وقت الدكتورة أكثره في العيادة والجمعية أو النادي فيمكنها أن تخدم في شقة إسراء ، وكان ذلك حلا مؤقتا لإسراء لتفكر بعقد مع خادمة دائمة في البيت ، وكانت أجرة الشقة تذهب للجمعية كما رتبت مع حياة .

اتصل المهندس إسكندر بفلورا مخبرا لها بتحويله عشرة ملايين دولار من باقي ميراث الجد من باقي المبالغ المادية والعقارات التي يملكها التي تم بيعها ، ولم يبق لها إلا حصتها في الشركة البحرية النقالة للبضائع حول العالم ، وسيردها كشف سنوي بالأرباح ، وأن اليزا ستزورها لمدة شهر فرحبت بها وبولديها .

ولما اخبرها البنك بوصول الأموال المحولة كلها للبنك ، باشرت بشراء خمس عمارات

للاستثمار ؛ لتكون دعما وتغطية مالية للمستشفى الخاص الذي ستقوم بإنشائه ، وشكلت بمساعدة زوج حياة المهندس المعماري أبو هيثم شركة لإدارة العمارات ؛ ليكون لكل عمارة مكتب متابعة وصيانة ، وجاءت اليزا البلد ورتبت لها فلورا جولة سياحية لمناطق سياحية في البلاد كلها ، وكل ذلك على نفقتها وكرمها ، وكل نهاية جولة كانت شقة فلورا ينامون فيها ويستريحون من تلك الجولة، ومضى الشهر كما يمضي غيره ، ودعت اليزا أختها وإسراء جارتها وصديقتها لزيارة اليونان للسياحة كما فعلت هي .



وكانت إسراء تشارك صديقتها متابعتها للاستثمار ، وقامت شركة زوج حياة أبي هيثم بإنشاء مباني مستشفى للطبيبة فلورا من أربع طبقات عدا كراج السيارة تحت الأرض وكان مستشفى متوسط الحجم ، وتم ترخيصه وإظهار الغاية منه ، وكان فيه قسم للعيادات وقسم للعمليات وأسرة المرضى ، يتسع لحوالي ستين سريرا ، وتسلمت فلورا إداراته مع مجلس إدارة معين من قبلها ، وستترك العيادة الخاصة لناعمة وتترك حصتها فيها ، وذلك عند انتقالها لإدارة المستشفى وخيرتها بين العمل وحدها أو تبحث عن شريكة ، بل عرضت عليها العمل في عيادات المستشفى فاختارت تجربة الإدارة وحدها ، وبينما فلورا تدير المستشفى وتتعاقد مع أطباء وممرضين وسكرتاريا من الجنسين وتنتظر إنهاء الشركات الطبية القيام بتجهيز الأجهزة الطبية ومستلزمات المستشفى الإدارية نقلت لها إسراء أن زوجها طرد زوجته عمرة من بيته رغم انه لا احد يعيش معهما

***

قالت أم وسيم أخت أبي محمد لأخيها غاضبة : ماذا فعلت لتطردها من بيتك وتحرجني مع أمها ووالدها والجيران ؟

قال ساخطا : امرأة سيئة ، لا تحب أن يزورني الأولاد والبنات أولا وثانيا سلوكها معي قبيح تريد الإنجاب ؛ كأن الأمر بيدي وطبيب النساء قال لي ولها : من الصعب أن تحمل فرحمها ميت لأنها تزوجت كبيرة ، ولم تحمل من قبل فماذا اعمل لها؟! وثالثا دائما تسب على أم محمد والبنات وانهن لم يتربين تربية حسنة وفشلي في تربية الأبناء وتذكرني كيف اعتدين عليها بدون شفقة ؟ ونسيت أنها هي التي كادت تسقط امهن عن الكرسي أمامهن .. لا أريدها يا حميدة !

ـ هل هذا حل ؟

ـ الحياة ليس معاشرة معاشرة .. الزواج سكن ومودة ورحمة

ـ نحن زوجناك ؛ لأن إسراء مريضة ولم تعد تحتمل المعاشرة الزوجية

ـ الإنسان يا سيدتي يعيش سعيدا بدون معاشرة زوجية ، مكثت اكثر من سنة بدون معاشرة زوجية ، ومهما يكن الرجل قويا جنسيا .. فهل يظل طول وقته في معاشرة زوجية ؟ يبدو أنها مريضة بنت صاحبتك عندها شبق اكثر من اللازم

ـ أنت أول رجل يقربها

ـ للرجل يا أم وسيم طاقة محدودة .. لا أريدها.. سنتفاهم على الطلاق

ـ أعينك على غيرها ؟

ـ لا عيني ولا رجلي على غيرها .. خلاص كرهتها .. كانت غلطتها أنها تكره أولادي وزوجتي فإسراء أم أولادي الأربعة .. رجعة لا أريدها .. أرجوك يا أخية كما دخلنا بالمعروف خرجينا يا أخية بالمعروف .. لم تعد الحياة بيننا ممكنة .. خليها عند أبيها وأمها .. ستجد من هو اقوى مني طاقة وقوة

ـ أنت بعدك صغير يا حميد

ـ أنا فوق الخمسين يا أخية لست شابا فتيا

ـ فكر بإرجاعها لا تتعجل بالفراق .. أم محمد رحبت بزواجك عليها ؛ لكن أولادك لم يعجبهم الوضع مع الوقت سيتغير الحال ويتقبلون الوضع والضرة

ـ سأتزوج غيرها انتهى العيش بيني وبينها

ـ هذا الكلام لا يصح لماذا قبلتها زوجة ؟ وقلت عادي ولو ولدت البنت .. تريد أبناء كغيرها من البنات

ـ من أين آتيها بالأبناء ؟ وهي عاجزة عن ذلك ، وظلت تصارع أم الأولاد والأولاد حتى طفشتهم من البيت

قالت أم وسيم : كان يلزمك أن تطلق إسراء المريضة ليستقر زواجك

ـ ما ها هي مهجورة منذ تزوجت اللعينة بنت جارتك الحسناء المؤدبة احسن تربية ؛ ولكن حظها مع الرجال تعيس !

ـ لكنك تذهب كما تقول عمرة وتأكل معهم وتعيش معهم ساعات وساعات

ـ وهل لا اذهب لأكل معهم ؟.. هؤلاء أولادي يا محترمة ..وهل هذا عيب ؟ فما زالت إسراء على ذمتي .. فمنذ مشاجرتها معهم لم يأكلوا في هذا البيت ؛ ربما كوب من الشاي تصنعه البنات لأنفسهم لا تخدمهم بشيء ؛ بل تتلصص علينا من فتحة الباب لتسمع ما نتحدث به .. كان اختيارك سيئا يا أم وسيم فكما ورطيني فيها خلصيني منها

قالت وهي تنهض : سأتركك بضعة أيام ؛ لعلك تهدأ وتفكر بإعادتها لهذا البيت

ـ قلت لك انتهى الأمر .. سأقوم بتوكيل محامي بطلاقها ودفع مستحقات الطلاق سأعيش وحدي كرهت النسوان من ورائها ومن حقارتها .. تظن نفسها افهم نسوان العالم

خرجت أخته حميدة غاضبة وزعلانه منه تهدد وتتوعد ، وبالفعل سعى المحامي الشرعي لطلاق عمرة ، وبعد شهور وفق إلى ذلك ، ولم يقبل الرجل أي تسوية أو صلح ، وحتى زوجته إسراء اعتذرت عن العودة للعيش معه وحثته على الزواج من جديد ، وعليه حسن الاختيار ، وحسن السؤال عن الأهل والأفضل أن يتزوج امرأة مطلقة ولا تحمل اذا كان لا يرغب بمزيد من الأطفال ، ولم يعجبه كلام إسراء وردها فعاش في حيرة .. هل يتزوج من جديد أم يعيد إسراء للبيت ؟ ثم يتذكر عجز إسراء وبغضها للمعاشرة الزوجية .. وهو ما زال يملك طاقة ورغبة

بالمعاشرة .. فصعب عليه الاختيار والعيش كزوج بدون زوجة ، ويتذكر كيف كانت تعاني إسراء من كل جماع من مرض وانهاك ؟ وتضطر للذهاب في النهار للعيادات النسائية رغم توقف النزيف .. كان عليها أن تزوجني صديقة وصاحبة لها ليعم السكون والرحمة البيت ، كانت كل معاشرة فضيحة رغم توقف النزيف وإزالة الرحم .

***

تملكت فلورا خمس بنايات متعددة الطوابق ورتب لها المهندس أبو هيثم لكل عمارة فريق إدارة كما سبق الحديث مهمته استلام مال الإيجارات وإيداعها البنك والإشراف على عقود الإيجار والإخلاء وتقديم الصيانة والتصليح لما يفسد من الشقق من حمامات ومغاسل ومن تعطل المصاعد .. وكانت فلورا تستلم التقارير الفصلية والسنوية من كل رئيس مكتب ، ويساعدها المهندس أبو هيثم بالتدقيق والمتابعة وإخراج الضرائب ووفر لها محاسبا ماليا قانونيا يراجع حسابات الشقق من محاسبي شركته مقابل أجرة متفق عليها ، وكانت إسراء تضحك وتقول : يلزمك زوج ليتابع كل هذه النشاطات والمعاملات المالية والإدارية .

فتضحك فلورا : واذا الزوج كان كسولا ماذا افعل ؟ الإدارة يا صديقتي شغل شاق وإن بدت سهلة للعيون .. ولو أحببت الكسل ما قمت بفعل كل ذلك .. فإدارة المال اصعب من وجود المال .. أنت تتعاملين مع بشر ونفوس متنوعة .. هذا محتال ، هذا نصاب ، هذا شريف ، ذاك طماع .. فالأمر سيكون شاقا .. تدربت أنا وناعمة على بعض من الإدارة في إدارة العيادة

كانت إسراء تسمع وتهز رأسها وهي تتعجب من سعة معرفة قلورا فقالت : والمستشفى إلى أين وصلتم فيه ؟

ـ الحمد لله الأمور تمشي كما رسم لها وخطط ، انتهت شركة زوج حياة من البناء لقسم العيادات ولقسم الإدخال والعمليات وتوابع كل قسم من مرافق خدمات ومكاتب إدارة واستقبال واستراحات ، وتعاقدت أنا ومجلس الإدارة معي مع شركات طبية لتقوم بتجهيز الأجهزة الأحدث على مستوى العالم ، وتجهيز العيادات وغرف العمليات وغرف المرضى بالأسرة

والأجهزة الملائمة .. فعلينا أن نستلم كل شيء بأفضل ما يكون .. ومع الوقت يتطور المستشفى سيبدأ بستين سرير .. العيادات ستكون عيادة لأمراض النساء وثانية للحوامل وهناك عيادة للأمراض الجنسية وأمراض اللثة والأسنان وأمراض المعدة والأمعاء والجهاز التنفسي وعيادة لأمراض الأطفال أما القلب والدماغ والأعصاب والدم والغدد والأمراض الجلدية ربما في مراحل قادمة وحسب نشاط المستشفى

ـ مهمتك مهمة شاقة كنت أظنها سهلة .. فعلا الواحد يجهل أشياء كثيرة من المشاريع والإدارة تحتاجين لمطبخ وطعام للكادر والمرضى

ـ يتم اليوم التعاقد مع شركات خاصة تقوم بمثل هذا والنظافة ؛ ولكن لابد من وجود مطبخ أو مكان للطعام .. هذا يكون عند الإنشاء والبناء يحسب حسابه .. فمرافقون المريض يحتاجون لأكل وشراب أثناء وجودهم في مباني المستشفى وأشياء كما يقال لوجستية من اكل وشرب وماء وغير ذلك ومقاعد جلوس ومسليات هذا يحسب حسابه ومنامات للعاملين والمناوبين .. الآن دعينا مني ما آخر أخبارك مع زوجك المحترم ؟ .. قلت لي انه طلق المرأة وهو يضغط عليك للعودة للبيت والأولاد

تنهدت بحزن وألم وقالت : ما زلنا تائهين .. هو يصر على ذلك ، وانا أبين له عجزي عن تحقيق حاجته ورغبته ، وهو يزعم أن ذلك غير مهم ، فذكرته بما كان يحل بي من تعب ومراجعة عيادات وأدوية لتخفف آلام كل جماع ، وفضيحة جل معاشرة وان الرجل حتى لو قلل الاتصال سيحتاج للاتصال مما يرى من متبرجات وسفور وإغواءات فيزعم انه يصبر وسيطيل فترة المكث بين كل اتصال وآخر .. وسيبقى العذاب ولو كل سنة مرة .. فمرة يهدد بالطلاق للضغط عليّ بالعودة ومرة يعرض أن أزوجه امرأة صديقة لي كأنه يلمح إليك

ضحكت فلورا : صدقي لو اصلح لإشباع رغبة رجل بعد هذا العمر لتزوجته أو تزوجت غيره.. ماتت الرغبة لديّ وأنفر منها وانا لم أجربها

ـ وانا لن افعل .. فلا أريد أن اخسر صحبتك ومحبتك .. فلا تخلو الحياة من مطبات فالأولاد

مهما أحبوك لن يقبلوا بسهولة أن تتزوجي من أبيهم سيحصل ظلم للجميع

ـ أنت أخت مهمة لي منذ تعمقت صداقتنا يا إسراء أنت وحياة حياة بالنسبة لي

ـ شعور وعاطفة متبادلة بيننا .. حبك مكسب يا أختي

***

اضطرت إسراء مع ضغط زوجها والتهديد بالطلاق بينهما أن تعود والأولاد لبيت الزوجية وأعطتها فلورا دواء يخفف من آلام الاتصال بيننها وبين زوجها على أن تأخذه قبل إقامة أي علاقة زوجية ، والاهم أن يتباعد الاتصال بين الاتصالين على الأقل أسبوعين ، فهي بصفتها متخصصة بطب النساء تعلم عجز الرجال عن الصبر عن تلك العلاقة ما دامت عندهم قوة وهم تراهم يطاردون كل أدوية تنشيط القوة الجنسية وضعف الجنس وان شركات الأدوية تكسب مليارات من ذلك ، وقد ينجح ذلك مع البعض وقد لا ينجح .. فالأجسام والعمر له دور في كل ذلك ولكن من يعترف ؟! كانت ناعمة تجلس مع فلورا بعد مغادرة العيادة وبعد حديث وأخبار قالت : لماذا رجعت إسراء ؟

ـ زوجها المحترم انتهى من الحيرة ، لم يرغب بتجديد الزواج بثالثة فهددها بالطلاق اذا أصرت بالعيش بعيدة عنه

ـ الرجل لا يستغني عن امرأة في بيته .. هو لماذا تخلى عن تلك السيدة ؟

ـ لم تكن أخلاقها معه ومع زوجته ومع أولاده حسنة .. وعلمت كيف ضربنها البنات ؟ وبهدلت نفسها وبهدلت الأسرة .. فكانت إسراء أمام التهديد بالطلاق مرغمة على العودة أيضا بسبب الأولاد .. فابنته الكبرى دخلت الجامعة والثانية على الطريق الأبناء نقطة ضعف الآباء والأمهات

ـ ربنا يوفق ويصلح الحال ..هي صديقة ممتازة وتحبك كثيرا يا فلورا

ـ وانا مثلها يا صديقتي الناعمة عوضني الله بكن انتن الثلاثة بأسرة رائعة

ـ أدام الله الحب بيننا .. أخي سافر

قالت باستغراب : سافر حقا ! وما فعلت امك ؟!

ـ هي التي طفشته كما نقول .. ظلت تزن على دماغه تزوج تزوج حتى زهق وهرب

ـ والان ؟!

ـ ناقمة ساخطة .. أمي لا تحب للرجل أن يقيم علاقات مع نساء بدون زواج ..وهو تعود على ذلك من هناك .. ونحن البنات نعلم انه يقيم علاقات جنسية مع بنات الملاهي ؛ فكلما يغيب عن البيت بالأيام وربما الأسابيع ندرك ذلك .. وأمي تدرك مثلنا فتقرعه وتزيد من التأنيب حتى فقع وانصرف وما علينا إلا أن نقول الله يهديه فهل من وراء البغايا إلا الأمراض والإيدز؟

ـ هناك ناس لا يصحون إلا بالمرض والعذاب .. الله يهديه كما قلت .. ومع الاحترام يا ناعمة هؤلاء الشباب الذين يعيشون في أوروبا أو أمريكا وتعودوا على حياة الفُجر صعب أن يستيقظوا من سباتهم وعاداتهم قبل فوات الوقت .. فالشاب يقول لماذا انفق على فتاة طعاما وسكنا وطبيا وهي تبيع جسدها بابتسامة أو شراكة في بيت ؟.. الروايات التي تصور الواقع الغربي مليئة بمثل هذه المشاهد القبيحة

***

كانت إسراء تودع زوجها وهو يغادر البيت نحو جامعته ؛ حيث يحاضر في كلية العلوم في جامعة أجنبية لها فروع في بعض البلاد العربية والإسلامية ، وكانت العادة للدكتور حميد تشغيل السيارة الخاصة به مع الساعة الثامنة قبل خروج زوجته لجامعتها هي الأخرى بساعة ، ويكون الأولاد بعضهم خرج للمدرسة والبعض الآخر ينتظر حافلة المدرسة وكانت البنت الكبرى مريم تذهب مع أمها للجامعة ، فهي تدرس في جامعة أمها ، شغل السيد السيارة ونزل فتح البوابة الخاصة بموقف السيارة ؛ ليخرج السيارة للشارع ثم يعود لغلق الموقف أو الكراج المنزلي



خشية أن يدخل كلب ضال البيت ، ولما اخرج السيارة وتركها ليغلق الكراج كانت تقف قريبا من المنزل سيارة كأي سيارة تنتظر أحدا ، وبينما هو يهم بإغلاق بوابة الكراج اطلقت عليه رصاصات تبين أنها ثلاث ، فصرخ بصوت عال سمعه من في الشارع وحتى إسراء وشقيقه حسون وزوجته من طابقه العلوي ، فطل من الشباك ، وركب مطلق النار سيارته واختفى مسرعا ، وكانت إسراء مثل غيرها قد سمعت الصرخة والرصاص ، فخرجت مسرعة ورأت زوجها يصرخ ويصيح فاتصلت بالإسعاف والبوليس ، وتوقفت سيارات كثيرة في الشارع بسبب صوت الرصاص وحضرت الشرطة والإسعاف ، ولم يكن الرجل ميتا فحمل إلى سيارة الإسعاف ، واخذ الشرطة بالتحقيق بملابسات الجريمة ، وبين احد الشهود الذي تصادف وجوده أثناء الرصاص بلون السيارة ورقمها واكد أن امرأة التي اطلقت الرصاص على الدكتور حميد ، وعرفت على الفور بأنها مطلقة الدكتور ، فبلغت الشرطة الدوريات المختصة ، ثم اعتقلت من بيت أبيها الذي صعق للخبر بجنون ابنته ، واقتيدت إلى نقطة الشرطة للتحقيق معها ؛ حيث اعترفت بسهولة بأنها هي التي اطلقت النار على من كان زوجها ؛ لأنه طلقها ودمر حياتها ، وأما حميد فنقل للمستشفى مصابا بثلاث طلقات أصابت واحدة منهن كلية له أدت لانفجارها ، وصنعت له نزيفا داخليا صعبا ، وهرعت حياة وفلورا وناعمة عند سماع الخبر للمستشفى ؛ حيث كانت إسراء ومن كان في البيت يبكون أمام غرفة العمليات ، ووصلهم خبر الاعتداء الغادر انه من مطلقة أبيهم ، فزادت الصدمة والألم في قلوبهم ، ولما حضرت أخته التي ساعدت في تزويجه قامت إسراء بطلب مغادرتها المكان وهي تقول لها بألم وحرقة : زوجتيه مجرمة قاتلة

ـ اخرسي أنا أخته واحبه اكثر منك

ـ انصرفي يا قليلة الأدب

ـ بل أنت انصرفي فأنا أولى به منك

طلبت منها حياة اختصار الشر والابتعاد عن المكان حتى يعرف مصير الرجل ، وقام زوجها أبو

وسيم بالطلب منها أن يعودا للبيت ، فلا مكان لهما مع أسرة أخيها ، وتجمع أقارب الدكتور وزوج حياة وأخواتها الأخريات ، وعاشت إسراء المحنة المؤلمة ؛ ولكن وقوف الأهل والأصدقاء حولها خفف من جرعات الألم والحزن ، وأبدت صبرها للمحنة حتى قال لهم طبيب العمليات : سيطرنا على النزيف وسيفقد كلية يا دكتورة .. والحمد لله نجا من الموت والأمر بيد الله .. وهناك رصاصة مستقرة في الفخذ نسعى لإزالتها وهي بعيدة عن عظم الفخذ .. ويقال أن امرأة وراء الحادث ؛ فلذلك لم تكن الإصابات قاتلة وقريبة من الراس والصدر .. فالأفضل لكم الانصراف فستأخذ الإجراءات وقتا قبل أن ينقل لغرفة الإنعاش والمراقبة لن تتمكنوا من اللقاء به قبل اربع وعشرين ساعة

ولما سمعوا تقرير الطبيب الشفوي بدأ يخف الزوار وهم يحمدون الله على سلامته ويدعون له بكل عافية وغادر المهندس زوج حياة ، وقد دردش قليلا مع فلورا وشكر لها تعاطفها مع صديقتها إسراء، وكانت فلورا قد ذرفت الدموع مما فاجأ إسراء وناعمة وحياة فهي قليلة سكب الدموع على موقف حزين .

***

قضى الرجل عشرة أيام في المستشفى قبل خروجه منهكا للبيت ، وكان يقابل الناس بصعوبة ولكن عادة الناس والأقارب لا تتغير بسهولة ، الكل يرغب بإظهار مودته وتعاطفهم مع المصاب ، ونقلت المطلقة بعد التحقيق لسجن النساء حتى تقوم النيابة العامة بتحويل القضية للمحكمة ، وكانت الجريمة الشروع في القتل مع سبق الإصرار والترصد ؛ لولا أنها لا تحسن استخدام السلاح بشكل جيد لربما قتلته ، ورفضت أسرة حميد استقبال عمتهم التي كانت السبب بتعرفيهم بتلك الأسرة والمرأة ، وتعرضت للطرد كما طردت من المستشفى ، فبصقت عليهم وقالت : انتم أنذال ولا تستحقون الزيارة من الأكابر .. سيأتي أبوكم برجليه ليسلم علي ويعتذر عنكم .. انتم غير مربيين لعنة الله عليكم . وعادت لسيارة زوجها تسب وتلعن

قضى الرجل ثلاثة اشهر طريح الفراش والبيت والمراجعات للمستشفى وقد عانى من التهابات

زوال الكلية ، ثم تمكن من الجلوس بشكل صحيح ، وكانت فلورا لا يكاد يمر يوم حتى تكون في بيت إسراء أحيانا بصحبة ناعمة واحيانا بصحبة حياة

وبعد أن تحسن وضع حميد بشكل عام بدأت جلسات محاكمة مطلقته ، ولم تدم المحاكمة طويلا حيث كان اعترافها قد سهل مهمة محامي الادعاء والمدعي العام ونالت عقوبة تقدر بعشر سنوات سجن فعلي ، ولم يقبل حميد أي صلح مع الأسرة أو التنازل عن حقه القانوني .

ولكن المرأة المعتدية لم تحتمل البقاء في السجن بين عشرات السجينات بكل التهم عشر سنوات فبعد اكثر من سنة تمكنت من إدخال أداة للانتحار بأن وجدت في مرحاض دخلته ليلا وقطعت شرايين يديها وظلت تنزف حتى فارقت الحياة ؛ فكانت قصتها مأساة لمن عرفها ، فهي ليست أول امرأة تطلق لتقوم بارتكاب جريمة ، وشرع الطلاق كما هو معروف بين البشر لحل مشكلة أو مشاكل بين الزوجين حتى لا يلجأ احدهم بالفتك بشريكه

فقالت فلورا لما سمعت الخبر من حياة : هذه الأنثى ليست طبيعية .. كان من المفروض أن تذهب لمستشفى الأمراض العقلية .. الناس تتطلق للابتعاد عن اغتيال احدهم الأخر للحفاظ على الحياة

ـ أخت حميد غلبت صداقتها لأمها على سعادة أخيها .. فالبنت كانت لها مشاكل مع الجيران والأقارب .. كانت مشاكل عنف ، وكانت تلك المشاكل من أسباب عنوستها يا فلورا .. ليست كما قيل إنها كانت لا ترغب بالزواج .. فظنت تلك الأخت أن حميدا يريد فقط مجرد امرأة يعاشرها بسبب مرض أختي إسراء

ـ أمثقفة أخت حميد ؟

ـ درست جامعة وعملت سكرتيرة في شركة والدها قبل التقاعد فهي اكبر من حميد بسنوات ربما عشرة

ـ واهل البنت

ـ لا اعرفهم نهائيا ..هم جيران دار والد حميد .. فهو ميت ..ووالدته لقد عرفتيها

ـ نعم قد قابلتها كذا مرة في بيت إسراء امرأة طيبة قليلة الكلام

ـ ربما بسبب ضعف السمع وأنت ما أخبار مشاريعك ؟

ـ العمارات كلها أصبحت مؤجرة ، وزوجك الفاضل لم يقصر معي ، ولم يقبل أي مال مقابل الجهد الذي يبذله ، وأموال البناء والإنشاء للمشفى كلها دفعت ، والان شركة الأجهزة والأثاث تقوم بعملها في المستشفى وستكون العيادة النسائية كلها لناعمة ؛ ربما تشغل معها طبيبة بأجرة دون شراكة ، وأجرة العيادة كما هي سيدفع قسم لجمعيتكم الخيرية وقسم منها لمعالجة فقراء الجمعية لن يتغير شيء

ـ حقيقة كانت معرفتنا بك من نعم الله علينا

ـ وانتم كنتم من اعز الأخوة لي طوال هذه السنوات

ـ محبة الله ورسوله ﷺ هي التي جمعتنا إلى اللقاء

***

ارسل إسكندر أرباح الشركة البحرية للنقل حصة فلورا ؛ فكانت مبلغا يزيد عن ربع مليون سنويا مما ادهش فلورا ، وعلمت منه أيضا انهم زادوا عدد السفن الناقلة ، فتمنت له التوفيق والنجاح ولما سألته السؤال السنوي التقليدي هل تزوجت ؟فيرد عليها : لما تتزوجين أتزوج ربطت زواجي بزواجك .

ـ هذا ستقضي عمرك بدون زواج

ـ المسليات كثيرات يا فلورا

ـ معك حق

ـ أنا حزين لك .. أنت لا تستطيعين فعل ذلك

ضحكت وقالت : لو لي رغبة بتلك الشهوة لتزوجت من أيام الجامعة

ـ أتمنى لك كل سعادة هل أنهيت أعمال المستشفى ؟

ـ لم يبق الكثير ، تعاقدت مع الأطباء والأخصائيين والأمور الأخرى وسوف نباشر خلال اشهر

قليلة إن شاء الله

ـ إن شاء الله إلى اللقاء

***

قالت إسراء لفلورا ذات مساء : أرأيت ما اصغر الدنيا ؟ لولا لطف الله لصرت أرملة لم يشأ الله بعد ..من سيموت أولا ؟

ـ كيف الأسرة الآن بعد تلك المحنة ؟

ـ عادت الحياة إلى طبيعتها إلى حد كبير .. وستعود كاملة بعودة حميد للكلية ، وقبل ذلك ستظل همسة أو لمسة حزن فينا كانت صدمة كبيرة لكل العائلة .. وعلينا الرضا بقدر الله وأنت ما آخر أخبارك؟

ـ الحمد لله والشكر لله .. لقد تلقيت أرباحا كثيرة من شركة البحر .. تصوري ففي سنة اكثر من ربع مليون

ـ هذا جدك يملك أسطولا كبيرا من سفن النقل

ـ بل يزعم إسكندر انهم سيزيدون السفن العاملة هذا العام الجديد

ـ المهم البركة في المال والبدن .. قد نزوج ابنتي مريم

ـ وهي تدرس!

ـ وهي تدرس ابن عمها يرغب بالزواج منها

ـ والجامعة

ـ ستستمر بالدراسة .. تصبح زوجة وهي في الجامعة

ـ ولن يعيقها ذلك عن الدراسة .. واذا حدث حمل

فكرت قليلا وقالت : واعتقد انه سيحدث ؛ ولكنّ زوجي متردد بسبب أخته التي ورطته بتلك الأسرة

ـ هل لأخته تأثير على أسرة أخيه ؟

ـ لا أقول تأثير .. كل شخص في حاله ؛ لكن ملاحظات وعتابات الأخوة بين بعضهم تجرح وقد تقول كلمات تلسع العريس ؛ كأن تقول له بنت إسراء كذا .. تغمز بي وأنني ورطتها بتزويجه بنت أم وجيه .. مثل هذا الغمز واللمز .. وربما لا تعلمين أن حياة الأزواج لا تخلو من مشاكل وزعل مهما كانت علاقة زواجهم قوية .. الحساسيات ولو لم يسيطر عليها بين الزوجين لما ظلت زوجة على ذمة زوجها .. تراه يزعل من مديره من رئيسه يعود للبيت يفش غله كما نقول بزوجته أو أولاده .. والعائلات تعتاد على ذلك وينتهي الموضوع بسلام

ـ هكذا يجب أن يكون الناس .. تضييق أي قضية لأصغر ما يكون .. متى ستعلنون الموافقة أو الخطبة ؟ هو البنت قابلة للزواج

ـ بالتأكيد يا عزيزتي لا احد يجبر ابنته أو أخته على الزواج اعتقد اليوم زمن الإجبار ولى ..كم تمنيت أن افرح بك يا أختي الفاضلة ؟

ـ الحياة هذه طابت لي وتأقلمت معها قبل صحبتكم الممتعة

ـ إني اعجب من حياة شابة لا تحلم بالزواج ! .. فالفتاة تبدأ الحلم بتكوين أسرة من أواخر فترة الإعدادية .. كان الناس قبل جلينا يتعجبون من عدم زواج البنت قبل العشرين سنة في بلادنا ؛ كما تحدث الأمهات الكبيرات ، ثم غير التعليم فكرة الزواج المبكر .. اقل طالبة جامعة تحتاج لأكثر من عشرين سنة للزواج .. هذا اذا كان العريس كما نقول على الباب

ـ والله لا ادري فعلا يا إسراء لماذا لم أتزوج ؟! هل لأنني كنت بدون أخوات وأخوة ؟

ـ أنت أنثى غريبة !

تمت الحكاية الغريبة بحمد الله

المحتويات


{هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى}

قصص شارع سيدو عدنان

١
لعلهم خدعوك

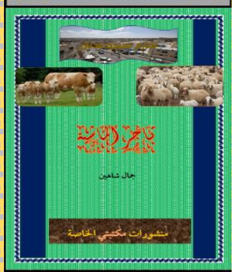




٢
غربة مهرب

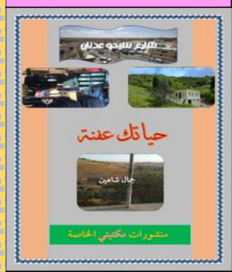
٣
زوجتك ابنتي

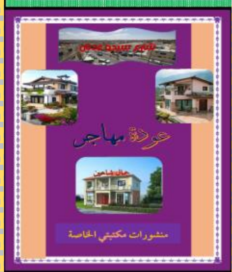




٤
تاجر الماشية

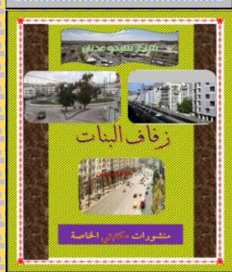
٥
حياتك عفنة

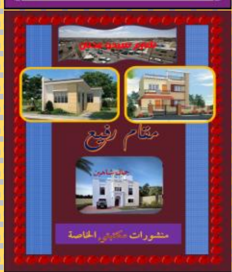




٦
عودة مهاجر

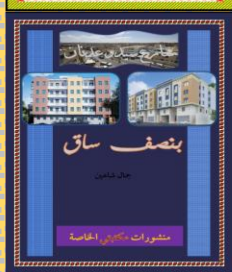
٧
زفاف البنات





٨
مقام رفيع

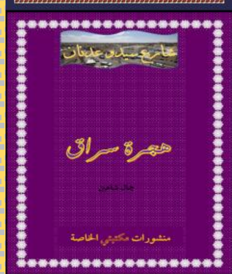
٩
بنصف ساق





١٠
ميراث البحار

١١
هجرة سراق





١٢
عضو البرلمان

١٠

ميراث البحار

جاءت موظفة الإدارة المدرسية على صفي المدرسي وهمست في أذن المدرسة بأن المرشدة والمديرة ترغبن باللقاء بي فانقبض صدري لهذه الدعوة المفاجئة فوجدت في الإدارة خالي نيكولاس أندرو شقيق أمي هيلينا فقبلني وقال: الجد يرغب برؤيتك الساعة فحدقت به وقلت: لماذا؟! قال: في البيت ستعرفين السبب، وقادني لسيارته ثم علمت بغرق أسرتي أمي وأبي ثم رحلت لوطن أبي وأنا غارقة في الحزن والبكاء ومن تلك الأيام كرهت الارتباط برجل سواء بعلاقة عابرة أو زواج قانوني، لم احب أن يتألم احد مثلي بسببي أكملت الدراسة في مدارس أجنبية، ثم درست الطب وتخصصت في طب النساء وأمراض النساء ومضت السنون والشهور ولم أتعلق برجل ولا رغب بالزواج منه، ثم ورثت الملايين عن جدي اليوناني البحار وما زلت امرأة عانس وتركت الجاهلية وعدت للتوبة والإسلام حيث أن والدي كان مسلما… فلورا فادي